

مذكرات الأسير النرويجي نيلز موس في مدينة الجزائر 1769-1772

ترجمة وتقديم د/ بوطبة لخضر

Memoiry of Norwegian prisoner Niels Moss in Algiers 1769 - 1772

د/ لخضر بوطبة

جامعة محمد لمين دباغين- سطيف، boutebalakhdar@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/20

تاريخ الاستلام: 2022/11/17

ملخص:

كنا قد نشرنا الجزء الأول من ترجمتنا لهذا الكتاب في المجلد رقم 07، عدد 02، بتاريخ 2021/12/31، من هذه المجلد الموقرة، ووعدنا بأن ننشر الجزئين المتبقين في الأعداد القادمة، فها نحن عندنا وعدنا نقدم هنا الجزء الثاني الذي يتناول فيه الكاتب تشكيل لجنة التحقيق وإعادة التسليح، وإبرام معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والاتحاد الدانو-النرويجي. وتناول في القسم الثاني، حياة الأسر في الجزائر - تجارب طاقم السفينة النرويجية جومفري كريستينا 1769-1772، ووصف سوق الباديستان وهو سوق بيع العبيد (الأسرى) الذين كان يتم جلبهم من نشاط القرصنة البحرية من طرف القراصنة الجزائريين، ووصف حياة الأسرى في السجون، ثم تطرق في الملحق إلى وصف مدينة الجزائر والعادات الجنائزية، ووصف أنواع العقوبات التي كان يتم تنفيذها في مدينة الجزائر، ووصف مستشفى المسيحيين، على أن نقوم بنشر الجزء الثالث والأخير في الأعداد القادمة بحول الله.

كلمات مفتاحية: مدينة الجزائر؛ القرصنة؛ الدانمارك؛ النرويج؛ الأسطول؛ الحرب.

Abstract:

On December 31, 2021, in Volume 07, n° 02, We had published our first translation's part of this book of this esteemed review, and we had promised to published the two remaining parts in future issues. so the is the second part, which dealt which the forming of the investigation commission and rearmament and conclude a new peace treaty between Algeria and the Danish-Norwegian Union.

In the second section, he deals with the life of slaves in Algiers - the experiences of the crew of the Norwegian ship Jomfrey Christina 1769-1772, and description of Badistan market, which is a slave market those (prisoners) who were brought from the activity of the maritime race by Algerian corsairs, and describes the captive's life in the prisons, then In the appendix, he describes the city of Algiers and its funeral customs, the types of sentences which were applied in the city of Algiers, and describes the Christian's Hospital, And we commend to publish the third and last part in the next issues.

Keywords: Algiers; piracy; Denmark; Norway; fleet; war.

* المؤلف المرسل: د. لحضر بوطبة، الإيميل: boutedalakhdar@yahoo.fr

1. مقدمة:

لقد سبق لنا نشر الجزء الأول من ترجمتنا لهذا الكتاب في المجلد رقم 06، عدد 02، بتاريخ 2020/12/31، من هذه المجلة الموقرة الذي هو في الأصل باللغة النرويجية، وهو مترجم إلى اللغة الفرنسية ونحن قمنا بترجمته بدورنا إلى اللغة العربية لتمكين قراء هذه اللغة من الاطلاع على مصدر مهم في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

ووعدنا حينها بأن ننشر الجزئين المتبقين في الأعداد القادمة، فها نحن عند وعدنا نقدم هنا الجزء الثاني الذي يتناول فيه الكاتب تشكيل لجنة التحقيق وإعادة التسليح، وإبرام معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والاتحاد الدانو-النرويجي. وتناول في القسم الثاني، حياة الأسر في الجزائر - تجارب طاقم السفينة النرويجية جومفري كريستينا 1769-1772، ووصف سوق الباديستان وهو سوق بيع العبيد (الأسرى) الذين كان يتم جلبهم من نشاط القرصنة البحرية من طرف القراصنة الجزائريين، ووصف حياة الأسرى في السجون، ثم تطرق في الملحق إلى وصف مدينة الجزائر والعادات الجنائزية، ووصف أنواع العقوبات التي كان يتم تنفيذها في مدينة الجزائر، ووصف مستشفى المسيحيين، على أن نقوم بنشر الجزء الثالث والأخير في الأعداد القادم. أما عن صاحب الكتاب كما جاء التعريف به في الجزء الأول هو بحار نرويجي وقع أسيرا في قبضة القراصنة الجزائريين ومكث في الأسر بمدينة الجزائر من سنة 1769 إلى سنة 1772 حيث أطلق سراحه بعد توقيع معاهدة سلم بين الإيالة الجزائرية والمملكة الدانماركية- النرويجية، حيث كان البلدان متحدان في دولة واحدة.

2. تشكيل لجنة التحقيق وإعادة التسليح:

عندما وصلت أخبار الهزيمة إلى كوبنهاغن كان الجو مشحونا، حيث أعطى الملك على الفور الأمر بتشكيل لجنة تحقيق لبحث أسباب الهزيمة خارج أسوار مدينة الجزائر، وقبل أن تنتهي هذه اللجنة من كتابة تقريرها النهائي طلب من برنستوف التخلي عن منصب وزير الشؤون الخارجية، مما يوحي بأنها إقالة ليست لها علاقة بلجنة التحقيق وإنما جاءت بناء على صراع المصالح في أجنحة السلطة في المملكة.

انتهت لجنة التحقيق، وكتبت تقريرها النهائي في شهر فبراير 1771 حيث جاء فيه مايلي:

كان تحرك وزير الشؤون الخارجية متأخرا بعد قطع معاهدة السلم. كما أن القوة البحرية التي طلبها لم تكن كافية، وأن قائد البحرية دانسكولد لوفينغ (Danneskjold-Lauvig) لم يساهم بما يكفي في التحضير للحملة. وقد توصلت هذه اللجنة إلى نتيجة تمثلت في أن قائد الأسطول "كاس" استعمل أسلوب التهديد مع مفاوضي الداي؛ حيث كان عليه أن يدرك أنه في موقع لا يسمح له بتنفيذ تهديدات. وأخيرا لم يقم قائد الترسانة الدانو-نرويجية في "هولمان" بواجبه كما ينبغي في إجراء فحص للغلوطات المحتملة.¹

وبالمقابل أشادت لجنة التحقيق بالشجاعة والإرادة القوية التي أظهرها طاقم الأسطول، رغم التحضيرات غير الكافية، والسرعة التي تم بها تحضير الحملة، وكذا نقص المعلومات وسوء اختيار الوسائل كل ذلك ساهم في الإخفاق العسكري في البحر المتوسط. ثم طُلب من هذه اللجنة توقيف تحقيقها، كما وُجّهت تعليمات صارمة إلى المسؤولين تضمنت تجنب الوقوع في مثل هذه الأخطاء مستقبلا. دون أن يحدث تطهير للبحرية أو توجيه توبيخ حتى ولو كان في سرية تامة.

كان من تداعيات هذه الهزيمة استقالة وزير الخارجية برنستوف كما سبقت الإشارة، وبعد ذلك طُلب من "كاس" قائد الأسطول كذلك التخلي عن منصبه، وتم استبداله بالقائد ستويناشت سيمون هوغلاند (Schoubynacht Simon Hoogland) (1772-1789)،² الذي أصبح منذئذ الرئيس الجديد للقوات البحرية الدانو - نرويجية في البحر الأبيض المتوسط.

ولأن الحرب بين الاتحاد الدانو-نرويجي والجزائر تواصلت، فإن السفن التجارية للاتحاد المذكور كان يلحقها الضرر بصفة مستمرة، ذلك أن 400 سفينة تجارية كان يُفترض بها أن تُبحر في البحر المتوسط من

أجل القيام بالتبادل التجاري مع مختلف الدول الأوروبية، لكنها بقيت راسية في موانئ هذه الأخيرة خشية أن تتعرض لها سفن القراصنة الجزائريين.³ وخسر الكثير من مئالك سفن تابعة لأمرأء إيطاليين عواندهم، وكذلك البحارة الذين كانوا على متن السفن في البحر المتوسط أصبحوا بدون عمل، وانخرط بعضهم في العمل كبحارة في السفن السويدية والهولندية. كما أن السفن الفرنسية طلبت السماح لها بالعبور بحرية إلى مدينة الجزائر مما جعل الحصار الدانو-نرويجي عديم الفائدة. وبالإضافة إلى ما سبق ذكره كانت سفن القرصنة الجزائرية محمية بعيدا عن ميناء مدينة الجزائر⁴؛ علاوة على أن المدينة كانت تملك تحصينات إضافية.

وعلى أية حال فإن الأسطول الجزائري بقي محافظا على سلامته، لكن ذلك لم يكن يخدم البتة مصالح القرصنة الدانو-نرويجية في البحر المتوسط. ففي غضون هذه السنة (1771) تمكن القراصنة الجزائريون من أسر سفينة دانو-نرويجية. وشيئا فشيئا وصلت السفن التي تم استبدالها إلى البحر المتوسط، إضافة إلى أن الأسطول الدانو-نرويجي تدعّم بسفن أخرى للمشاركة في محاصرة الجزائر.⁵

وعلى الرغم من أن رئيس الأسطول "هوغلاندر" وبعض من أعضاء لجنة التحقيق لم يتمكنوا من الاحتفاظ بالحصار الذي بدأه القائد "كاس"، إلا أن الحكومة كانت ترغب في إعادة تسليح قوة جديدة ضد الجزائر. وكان مهندس الجولة الثانية هذه، هو الطبيب الألماني جوهان فريدريك سترينانزي (Johan Fridrich Struensee) الذي تمكن من أن ينال رضا الملك، حتى جعله طبيبه الخاص، ثم بعد ذلك أصبح سنة 1770 عشيق الملكة. وفي الحقيقة أصبح مصير الاتحاد الدانو-نرويجي في مدة قصيرة في يد هذا الطبيب. فأعطى الأوامر بتجهيز 8 غليوبات مقبلة بغية توجيه حملة عقابية أخرى ضد الجزائر. وكان يدفع الاتحاد الدانو-نرويجي إلى سياسة تقوم على اللاتسامح مع الجزائريين.

وكان سترينانزي هذا يقع تحت تأثير الأضواء، فاختار استراتيجية عسكرية دفاعية، لكن لماذا اختار أن يسلك سياسة أكثر تشديدا مع الجزائريين؟ يبقى السؤال دون إجابة. فهل يمكن أن يكون قد أراد أن يظهر للعالم الخارجي أن الاتحاد الدانو-نرويجي قوة كبيرة تمكنه من أن يفرض هكذا مطالب؛ وهل يمكن كذلك أن يكون قد رغب في معاقبة الجزائر دولة اللصوص، ويكون بذلك قد رغب أن يظهر بمظهر المخلص

والمنقذ، من أجل القضاء على اللصوصية في البحر المتوسط. ومن المرجح أنه كان في حاجة لفرض نفسه بالقوة أمام خصومه السياسيين في الاتحاد الدانو-نرويجي بكل بساطة فسلك هذه السياسة.⁶ وعلى أية حال فقد أمر القائد هوغلاند بمضايقة الجزائريين كلما أمكن، وقال أنه تلقى تعليمات بعدم البقاء مكتوفي الأيدي في ميناء مرسيليا، ويجب إلحاق أكبر ضرر بالعدو وجعله يعاني باستمرار. (ومنحت لهوغلاند صلاحيات التفاوض مع الداى، لكن في حالة ما إذا جاءت المبادرة من حكومة الجزائر). وعلى الرغم من إعادة تسليح قوة أخرى خلال سنة 1771 في اتجاه الجزائر فإن الداى لا يزال يرفض التفاوض مع الاتحاد الدانو-نرويجي، ولم يقبل التفاوض مع ممثل حكومة هذا الاتحاد إلا بحلول عام 1772، وذلك بعد توسط القنصل الإنجليزي، وبعد الهدايا التي قدمت له، حيث شرع الداى في المناقشات مع هوغلاند. أين حصل هذا الأخير من الداى على ضمانات الحماية في حال قام بالنزول في مدينة الجزائر، مع تقديمه وعدا بالقدوم مع غليوطتين حرييتين فقط. وفي هذه الأثناء كانت كوبنهاغن على استعداد لإبرام معاهدة سلم جديدة مع الجزائر.

وفي سنة 1772 تم توقيف طبيب الملك ستريانزي الذي كان الملك المطلق في الاتحاد، ونُفذ فيه حكم الإعدام بعد حوالي ثلاثة أشهر. وقد أعقبت هذه المعاهدة تغييرات جاءت تباعا، حيث تم توقيف التسليح الذي كان قد سُرع فيه من أجل توجيه ضربة ضد حكومة الجزائر، وعاد وزير الشؤون الخارجية برنستوف لمنصبه، لكن لفترة قصيرة فقط، ذلك أنه توفي بعد مدة من توقيف الطبيب ستريانزي. وكان طاقم السفن لا يزالون يعانون من المرض الذي سرّع من تحقيق حلم السلم مع الجزائر. إضافة إلى أن القائد هوغلاند كان لم يتوقف عن إرسال التقارير بأن الداى يقوم بالتحضيرات لإبرام السلم. كل ذلك وضع الحد للتحضيرات التي كانت جارية لخوض الحرب ضد الجزائر.

3. معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والاتحاد الدانو-نرويجي:

في يوم 7 ماي 1772 وصل قائد الأرمادة الدانو - نرويجية مجددا إلى مرسى مدينة الجزائر، لكنه هذه المرة جاء لإبرام السلم، فقدم إذا هوغلاند من مرسيليا وكانت تعضد السفينة غرونلاند (Grøndland)، مع تشكيلة جميلة من الهدايا، (منها عُلب التدخين مصنوعة من الذهب والديباج المذهب)، من أجل إرضاء

الداي. وقد تطلب التوصل إلى اتفاق نهائي مع هذا الأخير عدة جولات للمناقشة استغرقت مدة خمسة أيام: ذلك أنه كان ثمة فارق كبير بين مطالب الداى من هدايا ودفوع تعويضات قنبلة المدينة، وطلب مبالغ مالية من أجل افتداء الأسرى الدانو - نرويجيين - والشروط التي اقترحها هوغلاند، علاوة على أن الاتحاد الدانو- نرويجي كان في حاجة ماسة إلى هذا السلم أكثر من حاجة حكومة الجزائر إليه، فقَبِلَ إذن هوغلاند بدفع الهدايا- معدات حربية- إلى الداى. إضافة إلى دفع ضريبة سنوية قدرها خمسون ألف (50000) سكة نقدا، وضريبة فصلية تدفعها كل سنتين قدرت بمبلغ مائتي (200) بياستر (قرش)، وكان بإمكان هوغلاند التفاوض مع الداى بخصوص الأسرى الذين كانوا بحوزته، كما كان عليه كذلك التفاوض مع بقية رجال الحكومة لتحرير الأسرى الآخرين⁷ الذين كانوا في حوزتهم، كما أنه من اللازم تخصيص هدايا معتبرة لا تقل عن تلك الممنوحة للداى ووزرائه .

وفي يوم 16 ماي 1772 تم التوصل إلى توقيع معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والاتحاد الدانو- نرويجي، حيث كتب القائد هوغلاند يقول "أرجو أن تدوم المعاهدة التي أبرمها صاحب الجلالة والسمو مع الديوان إلى الأبد." كما نصح هوغلاند الداى بلباقة قائلاً له "أنه في حال حدوث سوء تفاهم في المستقبل بين البلدين فإن عليه أن يُكاتب الحكومة في كوبنهاغن بدلا من أن يعلن الحرب عليها". فأجابه الداى بأنه سيبدل قصارى جهده. وبعد ذلك حيا الطرفان بعضهما البعض بإطلاق 21 طلقة مدفع، ثم غادرت العمارة الحربية الدانو- نرويجية ميناء الجزائر عائدة إلى كوبنهاغن.⁸

وبعد ذلك بقليل صرّح القائد هوغلاند أنه "لا يجب التعامل مع هؤلاء الناس كما نتعامل مع بقية الأمم، حيث حُب المال هو الشيء الوحيد الذي يفهمونه". ومن المحتمل أنه تساءل كم كلفت هذه الحرب خزينة الاتحاد الدانو- نرويجي؟ ولا شك أنه تساءل كذلك عن إمكانية دفع الأموال المطلوبة من أجل تجنب القيام بحملات عسكرية مكلفة للخزينة.

ونعود مرة أخرى إلى المؤرخ الدانماركي "دان أندرسون" الذي أنجز أطروحة دكتوراه تحت عنوان: "العلم الدانماركي في البحر المتوسط. الملاحة والتجارة 1747-1807" حيث قدر الخسائر الناجمة عن النزاع مع حكومة الجزائر بمليون ونصف مليون ريكسدال، وقد شملت هذه الخسارة تسليح السفن الحربية والبضائع التي

فُقدت من البحارة، والسفن التي تم الاستيلاء عليها.⁹ وذلك دون حساب الخمسمائة (500) بحار دانو-نرويجي الذين لقوا حتفهم بسبب الأمراض التي صاحبت السفن طوال سنوات الحرب، وبالجملة كانت الحرب مكلفة جدا بالنسبة للاتحاد الدانو-نرويجي: فمن وجهة نظر اقتصادية كان بإمكان الاتحاد أن يوفر الكثير من الأموال لو استجاب لمطالب الداي سنة 1769، لكن الاتحاد الدانو-نرويجي تعلم شيئا مهما من هذه الحرب، وهو أنه يملك القوة البحرية الكبيرة لكن في مناطق الشمال وليس في البحر المتوسط، كما أن مدينة الجزائر كانت أكثر تنظيما وحصانة مما كانوا يعتقدون، وكان الداي بابا محمد بن عثمان باشا أدكى مما كان يُفترض، فقد كان هو الرابع في كلتا الحالتين في الحرب وفي السلم معا.

4. المصادر:

1.4. المقالات باللغة النرويجية:

- 1- Ehlers, E : Danmarks Flaadetogt 1770-71 mod Sørøverstaten Alger. I : Tidsskrift for Søvæsen. Kjøbenhavn, 1911. (EAlger.)
- 2- Fossen, Anders Bjarne: Under det Tyrkiske Aag og Tyranni. Bergens sjøfart og Barbareskstatene ca. 1630-1845. I : Sjøfarsthistorsk Årbok (1979). Bergen, 1980. (Bergen et les Etats Barbaresques 1630-1845)
- 3- Gøbel, Erik : De algierske søpasprotokoller. En kilde til langfarten 1747-1840 . I : Arkiv. Tidsskrift for arkivforskning, 9. bind. København, 1982-83.(Les registres des lettres de mer algériens.)
- 4- Olsen , Pul Erik.: Krigen mod Alger. Siden Saxo, nr . 3. København, 1995 .(la guerre contre alger.)
- 5- Schelderup, W. M. : En Bergensers Fangenskab i Alger 1769-1772. I : Morgenposten, 22. september , 1921. (un citoyen de Bergen en captivité 1769-1772.)
- 6- Skurtveit, Halvor : Korsarar og bombardéerar . Kaperfarten p Middelhavet og det danske toktet til Alger 1770. I : Historie, nr. 2.Bergen, 2000. (Brigandage en Méditerranée et l'expédition danoise vers Alger.)
- 7- Thrap D : Provst Hugo Hiorthøys Dagbog paa Togtet til Alger. I : Museum. Tidsskrift for historie og geografi. København, 1893 (første halvbind). (journal intime du pasteur Hugo Hiorthøy.)
- 8- Sollie, Per Ole : Ørlending hos sjørøvere. I : Årbok for Fosen. Orkanger, 1995. (citoyen de Ørlandet chez les pirates.

2.4. المقالات مترجمة إلى اللغة الفرنسية:

- 1- Ehlers, E : Expédition de la Flotte du Danemark 1770-71 contre l'État du Sud d'Alger. Dans : Journal de la Marine. Copenhague, 1911. (EAlger.)
- 2- Fossen, Anders Bjarne : Sous l'ère turque et la tyrannie. La navigation de Bergen et les États barbaresques env. 1630-1845. Dans : Annuaire historique maritime (1979). Bergen, 1980. (Bergen et les États Barbaresques 1630-1845)
- 3- Gøbel, Erik : Les protocoles du passeport maritime algérien. Une source pour le long voyage 1747-1840. Dans : Archives. Journal pour la recherche archivistique, 9e volume. Copenhague, 1982-83.(Les registres des lettres de mer algériens.)
- 4- Olsen, Pul Erik. : La guerre contre Alger. Depuis Saxo, non. 3. Copenhague, 1995 .(la guerre contre alger.)
- 5-Schelderup, W. M. : La captivité d'un Bergenser à Alger 1769-1772. In : Morgenposten, 22 septembre 1921. (un citoyen de Bergen en captivité 1769-1772.)
- 6- Skurtveit, Halvor : Corsaires et bombardiers. La course en Méditerranée et le voyage danois à Alger 1770. In : Historie, n° 2. Bergen, 2000. (Brigandage en Méditerranée et l'expédition danoise vers Alger.)
- 7- Thrap D: Journal du prévôt Hugo Hiorthøy sur le voyage à Alger. Dans : Musée. Revue d'histoire et de géographie. Copenhague, 1893 (premier demi-volume). (journal intime du pasteur Hugo Hiorthøy.)
- 8- Sollie, Per Ole : Irlandais avec des pirates. Dans : Annuaire de Fosen. Orkanger, 1995. (citoyen de Ørlandet chez les pirates.)

3.4. الأرشيف:

- 1- Deichnanske Bibliotek, Oslo, manuscriptsamlingen(nr. 95) : Journal holden pra Hs. Kongl. Majestæts Orlog Skib Sophia Magdalena, over Expédition en til Algier, begyndt den 4 Avril 1770 og endt den 23 May 1771. Holden av Hugo Friderich Hiorthøy. Pasteur Navis. (journal intime du pasteur Hugo Hiorthøy).

باللغة الفرنسية:

- 1- Deichnanske Bibliotek, Oslo, collection de manuscrits (n° 95) : Revue tenue par Hs. Roi Majesty's Orlog Ship Sophia Magdalena, sur Expédition à Alger, a commencé le 4 avril 1770 et s'est terminée le 23 mai 1771. Holden par Hugo Friderich Hiorthøy. Pasteur Navis. (journal intime du pasteur Hugo Hiorthøy).

القسم الثاني

5. في الأسر الجزائري - تجارب طاقم السفينة النرويجية جومفري كريستينا 1769-1772

ظهر هذا الكتاب في تروندهايم قبل أكثر من قرن ونصف قرن، وقد علمنا بوجوده عند تصفحنا للمنشورات القديمة لجريدة "تروندهايم أدريسيافيس" (Trondhjems Adresseavis)؛ وبالتحديد تلك التي نشرت يوم 7 أبريل 1773 التي احتوت على إعلان صغير يخص هذا الكتاب حيث ورد في الإعلان عبارة: « تقرير تاريخي كامل حول مصير طاقم السفينة "جومفري كريستينا"¹⁰، التي انطلقت من ميناء "تروندهايم" سنة 1769 والتي وقعت في قبضة القراصنة الجزائريين، وبقيت في الأسر حتى سنة 1772. واشتمل هذا التقرير على ملحق خاص بمدينة الجزائر وسكانها، كتبه البحار الأسير نيلز موس. وقد اعتمد في طبع هذا الكتاب الذي يضم 80 صفحة على نسخ غير مرتبطة ببعضها البعض ومتوفرة في مطبعة تروندهايم بسعر 10 شيلن.»

وقد بينت الأبحاث أن هذا الكتاب نادر، وحتى أكاديمية العلوم في تروندهايم لا تملك نسخة منه، ومن حسن الحظ أن مكتبة جامعة أوسلو تتوفر على نسخة، ومن الممكن أنها النسخة الوحيدة المتوفرة. وبما أن الكتاب يتناول تجارب سفينة تابعة لمدينة تروندهايم، فقد أخذ متحف البحرية لهذه المدينة Trondhjem على عاتقه نشر الكتاب مع حرصه على التقييد بروح النص الأصلي وإضافة بعض التعليقات والحواشي. ومثلما تُبينه الصفحة الأولى من النص الأصلي فإن المؤلف لا يوقع إلا بكتابة الحرفين "ن" و"م" (N.M)، علاوة على أن تقديمه يشير إلى أنه كان عضوا ينتمي إلى طاقم السفينة، الأمر الذي يجعل التأكد من شخصيته والتعرف على هويته أمرا ممكنا. وتوجد عدة قوائم لطاقم السفينة "جومفري كريستينا" في كل من أرشيف قائد التجنيد وفي مراسيم موثقي مدينة تروندهايم، حيث عُثر على آخر عقد التزام للطاقم يعود تاريخه إلى يوم 1 سبتمبر 1769 والذي جاء فيه مايلي:

"نحن الضباط والبحارة الموقعون أدناه نعرب عن رغبتنا في السفر مع القائد هانز ثود غرام من تروندهايم، قبطان السفينة جومفري كريستينا، ذات الحمولة 64,5" كومرسليستر¹¹ kommerselster

" متوجهة إلى مدينة لشبونة ومحملة بالألواح الخشبية، والزفت والحديد، على أن تعود محملة ببضاعة من

أماكن أخرى. ومنذ الإبحار من قلعة مونشولمن Muncholmen

حتى عودتنا تلقينا المرتبات الشهرية التالية:

القبطان سفين هوساغر Svend Høysager:	15 rdlr ¹² شهريا.
رئيس الطاقم جوهان جاكوبسون هوفد Johan Jacobsen Hofde:	9 rdlr شهريا.
التجار: راسموس أولسن ستافن Rasmus Olsen Stavne:	11 rdlr شهريا.
القائد: إسبين هانسن رون Espen Hansen Rønne:	7 rdlr شهريا.
الملاحان لارس هانسن وليام Lars Hansen Wilman:	5 rdlr شهريا.
نيلز نيلسون موس Niels Nielsen Moss:	6 rdlr شهريا.
طوماس هيساجر Thomas Hysager:	6 rdlr شهريا.
أول انسن باي Ole Eensen Bye:	2 rdlr شهريا.
النادل سيفر أولدسن Sivert Roaldsen:	3 rdlr شهريا.

ومثلما يبين نص العقد، فإن الحرفين "ن" و"م" يعنيان بلا شك البحار نيلز موس، الذي هو بالتأكيد صاحب هذا الكتاب، والمعلومات التي بحورتنا حل هذا البحار قليلة، فقد ولد في تروندهايم وتم تعميده مع أخيه التوأم مارتينوس يوم 16 مارس في كاتيدراية المدينة، من مواليد 1743، توفي والده نيلز لارسن موس Niels Larsen Moss بعد سنة ونصف من ولادته، وتزوجت أمه كريستن مرتنسداتر رود Røde Christen Mortensdatter البحار كارت أندرسون سوستروم Carl Andersen Søstrøm. كانت أسرة موس تملك بيتا صغيرا في هولسفيين Hølstveiten وقد سمحت له ممتلكات الأسرة بالعيش في ظروف ملائمة، حيث ارتفعت ثروته إلى 80 rdlr بعد تقاسم التركة سنة 1744.

المعلومات الأخرى حول البحار نيلز موس تعود إلى سنة 1769 حين قرر السفر في الرحلة التي نحن بصدد ذكرها، وأثناء عودته من الأسر في الجزائر، أكمل دراسته وأصبح معاوننا " Second في البحرية وحصل على الشهادة سنة 1775 موقعة من طرف رياضي ومفتش الملاحة في تروندهايم السيد " فريدريك كريستيان

فستر Diderich Christean Fester". لكن بما أن منصب المعاون لم يكن متاحا حينها شغل منصب رئيس السفينة "باكيت" التابعة لتروندهايم Paquet Tronhiems والتي اتجهت إلى مدينة بوردو الفرنسية في صيف نفس السنة. وبعد ذلك أمضى سنة كاملة في منزله (1775-1776) حيث تزوج من امرأة مطلقة تدعى كيرستن أولسدوتر " Kirsten Olsdotter " يوم 11 فيفري 1776 في نوتردام، وقد سبق لزوجته أن تزوجت مرتين، كانت المرة الأولى مع النجار البحري السيد "جون أولسن هاف" John Olsen Hoff، وزوجها الثاني كان مع عريف الملاحين السيد "أولي أولسن رامبرغ" Ole Olsen Ranberg. وكانت تمتلك بيتا في ملكية كاتدرائية نوتردام تقدر قيمة مساحته 65 ريكسدال.

وبلا شك فقد توفي البحار "نيلز موس" في السنة التي تزوج فيها عن عمر ناهز 33 سنة، وبما أن اسمه غير وارد في سجل كنيسة المدينة فمن المحتمل أنه توفي في إحدى رحلاته البحرية، والذي يؤكد هذه المعلومات ما ورد في إحصاء سنة 1776 الذي جاء فيه ذكر أرملة "نيلز نلسون موس" السيدة "كريستن أولسدوتر" المقيمة في ملكية نوتردام.

وكما يبدو بوضوح فإن البحار "نيلز موس" لم يكن كاتباً صاحب أسلوب رفيع، لكنه كان ملاحظاً حاذقاً وصریحاً، وكل ما نعرفه أن قصته حقيقية، ومثلما وضع الكاتب في مقدمته، فإن القصة كتبها أثناء تواجده كأسير في مدينة الجزائر، ومن المحتمل أنه قص الأحداث التي عاشها حينئذ على أصدقائه الذين أقنعوه بنشر القصة. وعلى كل حال لا يمكننا أن نصدر حكماً على القصة إلا إذا عرفنا أن الكاتب لم يتلق تعليماً كافياً في صغره. وعلى الأرجح التحق بالمدرسة الدانماركية عندما كبر؛ حيث كانت توجد الكثير من المدارس سنة 1750 في مدينة تروندهايم. وقد تمكنتنا هذه القصة من معرفة موهبة أحد هؤلاء التلاميذ¹³.

الصورة الأولى صفحة البداية لكتاب نيلز موس، والصورة الثانية الصفحة الأولى في النسخة الأصلية: «تقرير كامل حول مصير طاقم سفينة تروندهايم "جومفري كريستينا" التي وقعت في الأسر على أيدي القراصنة الجزائريين سنة 1769 حتى عودتها سنة 1772. مع ملحق حول مدينة الجزائر وطبيعتها وسكانها، كُتب بتواضع من طرف نيلز موس سنة 1773، وطبع في مطبعة جينس كريستنين باندينغ وتم عرضه للبيع في نفس المطبعة.»

6. إلى النرويجيين والقراء المتطوعين:

أخيرا تحررنا من رق همجي، اسمحوا لنا أن نقص عليكم قدرنا ومأساتنا منذ أسرنا من ميناء "تروندهايم" في اليوم السابع من شهر سبتمبر 1769م إلى يوم العودة إلى أرض الوطن الحبيب في شهر أكتوبر من عام 1772. الأسلوب بسيط والقصة سخيصة، لكن تكمن شهامة هذه القصة في كونها قصة حقيقية، ومثلما تعلمون فالبجارة لا يتقنون فن البلاغة.

لابد من سرد هذه القصة باسم جميع الطاقم، لأننا تقاسمنا جميعا نفس القدر، وقمنا بنفس العمل الشاق خلال الأسر، ماعدا قائد الفريق الذي كان يمضي معظم الوقت في إقامة القنصل السويدي. وثلاثة رفاق آخرين كانوا في ظروف أحسن منا، لسبب سأعود للحديث عنه لاحقا. ستظل هذه القصة وفية لكتاباتي عن أسري في مدينة الجزائر، علاوة على ذلك أخص بهذه القصة الأشخاص العقلاء والصالحين.

بسم عيسى أروي لكم قصة مصير طاقم سفينة تروندهايم

7. جونفري كريستينا في الأسر بالجزائر

في يوم 7 سبتمبر 1769 غادرت سفينة تروندهايم جومفري كريستينا¹⁴ ميناء تروندهايم بقيادة القبطان هانس ثود غرام،¹⁵ وكان طاقم السفينة يتكون حينها من 9 بجارة، إضافة إلى مسافر يدعى جاكوب كولان Jakob Collin¹⁶، وكان اتجاه الرحلة مدينة لشبونة. وفي اليوم التاسع من نفس الشهر أصبحنا في عرض البحر، فاجتزنا شمال إكوسيا وإرلندا، وكانت الرياح تارة هادئة وتارة قوية، واستمر الوضع على هذه الحال إلى غاية اليوم العاشر من شهر سبتمبر عندما شاهدنا رأس فينيستر، وفي اليوم الثالث عشر تقريبا عند جزر بيرلانغا على ساحل البرتغال على الساعة الثانية زوالا شاهدنا قاربا شرعيا. لما اقترب منا اعتقدنا أنه تابع للقراصنة الأتراك، لم نكن نعتقد أنهم قراصنة جزائريون وأن الجزائر نقضت معاهدة السلم مع الدانمارك، فكنا واثقين من أن جوازات السفر التركية التي بحوزة كل واحد منا ستجعلهم يدعوننا نمر بسلام. وعندما اقترب القارب منا كثيرا انطلقت قذيفة من إحدى مدافعهم كادت أن تصيب مؤخرة سفينتنا. وبما أن الرياح كانت ساكنة قمنا بإنزال الأشرعة وتوقفنا ننتظرهم، وأصبح القارب قريبا جدا منا بحيث يمكنهم الاتصال

بنا، فطلبوا منا الصعود على متن قاربهم لإظهار جوازات سفرنا، وفي هذه الأثناء نادى علينا قبطان دانماركي يتواجد على متن قارب القراصنة الجزائريين كان قد وقع في الأسر منذ تسعة أيام، وهو قبطان السفينة ريجنس أونسكي Rigernes Onske¹⁷ التابعة لكوبنهاغن، الذي كلمنا باللغة الإنجليزية لأن القبطان التركي أمره بأن يكلمنا باللغة الإنجليزية التي كان يجيدها قليلاً. ثم اتجه القبطان نحو قاربنا على متن يخت صغير وكان برفقته أربعة بحارة مكثوا في قاربهم في انتظار عودته إليهم.

وبعد ذلك بوقت قصير نزل عدد كبير من الأتراك والمغاربة¹⁸ على متن قاربنا، وأخذونا من أيدينا واقتادونا إلى سفينتهم، وكنا في حالة ذهول تام، واعتقدنا للحظة أنهم سيقتلونا، كنا وسط عدد كبير من الأشخاص. وسمح لنا ضوء القمر بعد انقشاع السحب من تمييز الوجوه السوداء للحشد، كانت ملابسهم الغربية وثرثرتهم المبهمة قد زادت من قلقنا. وفي القارب كانوا يدفعون بنا في كل الاتجاهات حتى طُلب منا التوجه إلى مقر القيادة، وهناك وجدنا قائداً جالسا على الأرض، بالإضافة إلى قائدين تركيين، وبعض المور الذين كانوا يخدمونهم ويدخلون إلى مقر القيادة، وكان هناك شابان من سفينة كوبنهاغن، أحدهما كان جاثماً على ركبتيه أخبرنا بأن لا نخاف، لأنهم لن يلحقوا بنا أي أذى، وحدثنا عن توتر حصل بين الدانمارك والجزائر، وقص علينا كيف وقعوا في الأسر منذ 9 أيام على يد قارب شرعي جزائري. ولما اعتقدنا أن الشخص الذي كان يُكلمنا من الأعلاج¹⁹ لم نصدق كلامه، لكن فيما بعد أحسنا أنه يقول الحقيقة. وبما أننا لم نكن نفهم لغتهم فقد أشار لنا أحد المور بالجلوس على الأرض. وقد ازدادت معاناتنا لما أخبرونا عن مصيرنا السيئ والذي لم يكن يتناسب مع توقعاتنا إطلاقاً.

وبعد ذلك أخذ الأتراك زورقنا واقتادوه نحو سفينتنا، ولما شاهد طاقم السفينة زورقنا قادمًا نحوهم اعتقدوا أن القائد هو من عاد إليهم، لكنهم سرعان ما أدركوا عكس ذلك عندما اقترب منهم القارب كفاية وسمعوا لغة مختلفة عن لغتهم ولم يفهموا منها شيئاً. ولما صعد هؤلاء الأجانب على متن سفينتنا عرفنا أنهم القراصنة الأتراك، الذين هجموا كالأسود على كل من كان في دفة قيادة السفينة، وأنزلوا العلم الدانو-نرويجي. ثم قاموا باقتياد الأشخاص الستة الذين كانوا على متن الزورق إلى قاربهم من نوع الشباك، في حين استولى الباقون على السفينة التي كانت غنيمة جيدة.

كان من السهل تصور حالة معنوياتنا. وتم اقتياد الرجال المتبقين إلى مقصورة السفينة، حيث وجدوا زملاءهم الذين سبق ذكرهم. وفي هذه الأثناء جاء الترجمان التركي وحدثنا باللغة الإنجليزية قائلاً لنا: لقد غادر قنصلكم الجزائر، ولكنه سيعود في مدة أقصاها ستة أسابيع على الأكثر. ونكون إذن أحراراً ولا شيء يدعونا للخوف، رغم ذلك صُعّب علينا تصديق كل الكلام الذي كان يقوله لنا هذا الترجمان.

وبعد ذلك طُلب منا إن كان معنا نقود أو ساعات يدوية؛ يتوجب علينا تسليمها، وبما أننا نعلم أن حاجتنا ستُسلب منا باستعمال القوة، فقد كنا مجبرين على تسليم كل الأشياء التي كانت بحوزتنا. وبعد ذلك أخذونا إلى جسر السفينة، وقبل أن نبلغ أماكننا في مقدمة السفينة مررنا بجوار 280 شخصاً كانوا ينظرون إلينا. ولما وصلنا إلى المكان المحدد لنا، وجدنا قائد السفينة القادمة من كوبنهاغن رفقة سبعة من أتباعه والذين استفسرونا حول وضعيتنا.

وبين الحين والآخر أصبحت سفينتنا في مأمن من سفينة الأتراك التي تسمى الشباك، ولكن في صبيحة الغد جاؤوا بقاربنا مع قاربهم من نوع الشالوب، وشاهدنا إنزال كل أمتعتنا: من صناديق وألبسة: لقد نهبوا كل شيء غير مربوط بالقارب، ثم استولوا على سفينتنا، وأعطوا الأمر باقتيادنا نحو مدينة الجزائر بأقصى سرعة. كنا سجناء في القارب، وفقدنا سفينتنا التي أبعدها عنها. وكان طاقم الشباك يتألف من 280 رجلاً، ومزوداً بأربعة وثلاثون مدفعاً.

وبما أن السفينة الشباك التركية انطلقت للقيام بالقبض على سفن أخرى في اليومين المواليين، شاهدنا بيع أمتعتنا على يد جمع من الناس؛ وحيث كانت صناديقنا قد فُتحت عنوة.

وفي يوم 17 أكتوبر التقينا شباك جزائري آخر. كان البحر هادئاً حتى اليوم الثامن عشر. ثم بدأت الرياح تهب بقوة، ألحنا سفينة تطاردها سفينتان من نوع الشباك، وكانتا تطلقان عليها نيران مدافعهما. ولكن لما كانت تلك السفينة تملك شراعاً جيداً لم تتمكّن من إصابتها. ويبدو أنه عندما هدأت الرياح قام أصحاب الشباك بإنزال الأشرعة، وكان الشباك الآخر أقوى من الشباك الذي كنا على متنه، فاقترب من القارب الشراعي، ولما جن الليل وهدأ البحر أطلق الشباك نيران مدافعه على هذا القارب فأصابه في صاريته. ولم نتمكن من اللحاق بالشباك الآخر حتى يوم الغد. حينئذ قام القراصنة الأتراك بضم نصف طاقم هذا القارب

إلى شبانكا، ووضعوا النصف الآخر على متن الشباك الثاني. كانت الغنيمة سفينة برتغالية من نوع البريك قدمت من أوبورتو Oporto وكانت متجهة نحو البرازيل. وكان على متنها حمولة كبيرة. لقد تم اقتياد هذه السفينة بعد مدة قصيرة في اتجاه مدينة الجزائر.

ثم واصلنا الإبحار حتى اليوم الواحد والعشرين أين شاهدنا ثلاث سفن حربية إسبانية، وعند حلول الظلام طاردتنا إحداها، لكن تماطل الأمطار وكثافة الضباب حال دون تمكننا من رؤيتها، فقررنا حينها تغيير وجهة مسارنا، لكي نتفادى السفن الإسبانية، وأثناء ذلك قام الأتراك بذبح كبش ورموه في البحر فداء وقربانا لإلههم محمد²⁰، لقد كانوا مرعوبين وصامتين في وقت واحد.

واصلنا الإبحار ولكن لحسن الحظ لم نلتق أية سفينة داتماركية، كانت هناك سفن إنجليزية وهولندية وسويدية وكانوا يستظهرون جوازات سفرهم ثم يغادرون بسرعة، وكنا كلما لاحت سفينة في الأفق كان يتوجب علينا الاختباء، لأنهم لا يريدون اكتشاف أمر أسرنا، وعلاوة على ذلك كنا نقيم عند جسر السفينة ونقوم بالعمل، وأحيانا كنا نتعرض للضرب. ليس من الصعب أن تتصوروا معاناتنا على متن السفينة: حيث كنا محتجزين بين جميع هؤلاء المغاربة فلا نستطيع الجلوس ولا النوم. وفوق ذلك كنا نعاني من الجوع والعطش والبرد، لأنهم سرقوا منا ملابسنا: وكنا نعاني خاصة من قلة الماء، لأنهم كانوا يرغبون في البقاء طويلا في البحر ومن أجل ذلك كانوا يقتصدون في استعمال الماء.

وأخيرا اقتربنا من مضيق جبل طارق يوم الخميس 28 أكتوبر، وكان المور يدخنون تحت مدافعهم كما اعتادوا القيام بذلك مساء كل خميس، وكانوا يخلقون ذقونهم، ويؤدون الصلاة ثلاث مرات في اليوم، ويبدو أنهم كانوا يعتقدون أن قيامهم بهذه الأعمال سي جلب لهم النصر في المعارك.

في يوم 29 أكتوبر وصلنا إلى الساحل البربري أو بالأحرى إلى مضيق جبل طارق، وبما أن الأتراك كانوا يخشون ظهور السفن الإسبانية عند المضيق، فإنهم لم يجرؤوا على عبوره أثناء النهار، فكانوا ينتظرون في الساحل حتى حلول الليل، ولا يعبرونه إلا وهم مسلحون ومدافعهم مجهزة للإطلاق، فكانوا يستعدون كأنهم مقبلون على خوض معركة كبيرة، وكانوا جد صامتين وكأنهم يخشون وقوع أمر ما، وهذا فاجأنا لأننا اعتدنا على رؤيتهم يثيرون الصخب والضجيج، إلى درجة أننا مرات كنا نظن أنهم سيمتدرون على بعضهم البعض.

كان حلمنا المرور بسلام، اجتزنا الشاطئ دون أن يظهر لنا المضيق، وكانت هناك سفينة تركية من نوع الشباك مع غنيمة صغيرة تتألف من سفينتين واحدة إسبانية والأخرى برتغالية. كان الشباك في قبضة الإسبان: وتمكنوا من استرجاع الغنيمة واحتفظوا بالشباك التركي مع الشباكين الإسبانيين حتى شهر فبراير 1770. حيث تمكن من الفرار ووصل إلى مدينة الجزائر يوم 24 فبراير مع 18 أسيرا، ولكن دون غنائم. ولما أُلغيت معاهدة السلم مع الداغمارك أرسل الداى سبع سفن من نوع الشباك أو الأشرعة للقيام بالقرصنة، اثنان من هذه السفن استولى عليهما الإسبان الذين كانوا يحرسون الساحل ويراقبون سفن العدو، وذلك بعد أن تم تنبيههم بأن سفن القرصنة الجزائريين جاءت للبحث عن السفن الداغماركية للاستيلاء عليها.

وبعد ذلك هدأت الرياح واقتربنا من مدينة الجزائر حيث أصبح بإمكاننا رؤية المبنى الذي يقبع فيه اللصوص²¹، ولما سكن البحر تماما وصل اثنان من حرس السواحل إلى سفينتنا لسحبها إلى الميناء، وفي الوقت الذي كانت فيه السفينة تُساق إلى الميناء، تم اقتيادنا نحن الأسرى الأشقياء مع البرتغاليين والداغماركيين إلى زورق، وقاموا بنزع ما تبقى علينا من ملابس. ثم أخذوا منا كل ما كان بمجورتنا. ومنحوا الكثير منا مشاغل لحملها. لا يمكننا إخفاء خجلنا. وكانوا أحيانا ينزعون عنا الأغلال عندما نكون على متن السفينة حين يتأكدون أننا لا نتمثل أي خطر، وأمام هذا العدد الكبير من الأتراك بحيث أصبح القيام بالتمرد أو الثورة أمرا مستحيلا، كما أننا لم نستخدم للتجديف، أما بقية القوارب فكان الأسرى بها مقيدي الأقدام مثنى مثنى أثناء قيامهم بالتجديف.

وفي اليوم الرابع من شهر نوفمبر وصلنا إلى ميناء مدينة الجزائر، فاقتادنا القبطان التركي إلى قاربه، وأخذنا إلى الرصيف، وقام بتقديمنا إلى القائد المكلف بالأسرى المسيحيين الذي كان يتواجد بالميناء ويسمى في لغتهم مجلسي Michelascie²²، يقع هذا الميناء على جزيرة تتصل بالمدينة عبر جسر. وشاهدنا أقوى التحصينات في مدينة الجزائر، وأكبر هذه التحصينات كانت قلعة كبيرة يحيط بها خندق كبير مزود ببرج كبير تعلوه منارة كبيرة كانت تُستعمل في إرشاد السفن إلى الميناء أثناء الليل، عندما تكون سفينة الأعداء بعيدة، يمكننا رؤية بريق هذه المنارة من وسط البحر، وكان ارتفاعها حوالي خمسة أذرع، ومحيطها بضعة أذرع، وداخل

المنارة يوجد المئات من المصاييح، وهذه المنارة مغلقة من الخارج بالبلاط المصقول، وعلاوة على ذلك يوجد العديد من المدافع المعدنية مثلما توجد في باقي التحصينات.

وبعد مثلونا أمام الجنرال المذكور أخذنا القبطان من الميناء إلى بوابة المدينة، حيث تأذينا كثيرا أثناء عبورنا بالشوارع الضيقة بسبب العدد الكبير من الناس الذين اصطفوا على جانبي الطريق لرؤيتنا ومعابنتنا، كانوا من الأتراك والمور واليهود. لقد كانت الفرحة تغمرهم لأنهم حصلوا على عدد كبير من الأسرى الدانماركيين، فكانوا يستمتعون بالمشهد. كان بعضهم يضحك علينا ويسخر منا، وبعضهم يبصق علينا، والبعض الآخر بمسكوننا من شعرنا بقوة، وأخيرا هناك من يرموننا بالأوساخ والحجارة وهم يصيحون "دانماركيون دانماركيون".

لقد وجدنا صعوبة كبيرة للوصول إلى الدايليك²³ الذي يعني الملك وحاكم القصر. وبعد أن تم إبلاغه بوصولنا أعطى الأوامر بالإقبال عليه في ساحة القصر الكبيرة، كنا 21 دانماركيا.

وبالإضافة على الدايا، يوجد عدد من الأسياد الأتراك، وهم نائب الدايا، الخزانجي، وبقية الوزراء، كانوا جاثمين على رُكبهم، على الأرض أمام الدايا، وكان الدايا يجلس على كرسي مرتفع، ويتوسد ثلاث وسائل محملية. وكانت بيده مروحية يبعد بها الذباب، ويلطف بها الجو. وكان يوجد في هذه الساحة الأمامية الكثير من الساعات الحائطية والمرايا. وفي بعض أجنحة القصر وممراته كان يوجد الجنود الأتراك المكلفون بالحراسة: كانوا في وضعيات مهمة. بالإضافة إلى عدد كبير من خدم الدايا من الأتراك والمسيحيين الذين كانوا ينظرون إلينا في أروقة القصر.

بعد نظرات الناس الوقحة، اقتادونا إلى البناية التي تقع خلف قصر الدايا، أين أقمنا إلى غاية يوم الغد. لما التحق بنا الأشخاص التسعة الدانماركيون الذين كانوا على متن السفينة "ريجنس أونسكي" Rigernes ønske كانوا قد جاؤوا على متن سفينة من نوع الشباك إلى مدينة الجزائر بمساعدة شباك آخر، ولم يتمكنوا من اللحاق بالمدينة إلا بعد يوم من وصولنا. وكانت السفينة "ريجنسي أونسكي" السابقة الذكر تابعة للشركة التجارية لكوبنهاغن، وكان على متنها حمولة من الملح كانت قادمة من ميناء كاغلياري²⁴ Kagliari بجزيرة سردينيا. كما قابلنا العديد من الأسرى الألمان، ودانماركي من مدينة ألتونا Altona قدم

لنا بعض الفواكه، وبعض المأكولات لناكلها. كان هذا الدانماركي قد وقع في الأسر يوم 21 سبتمبر، وهو يعمل خادما لدى الداى فى قصره. أخبرنا أن الجزائريين قطعوا علاقات السلم مع الدانمارك، وعلاوة على السفينة "ريجنس أنسكي" قام الجزائريون بالاستيلاء على سفينة أخرى تابعة لألتونا تدعى "الأميرة" مع طاقمها البالغ عدده 11 شخصا. كانت هذه السفينة قادمة من هومبورغ وكان على متنها شحنة كبيرة كانت متجهة نحو قادش Kadix²⁵. لقد استولوا على سفينتنا وعلى سفينة كريستيانساند Christiansund محملة بأخشاب من نوع "mouru plate" كانت متجهة نحو برشلونة. وقعت فى الأسر على يد شباك جزائري، لكن بعد ذلك تم إطلاق سراح السفينتين على يد سفينة خفر السواحل الإسبان، كما تم تحرير السفينة الدانماركية التي كانت متجهة إلى كريستيانساند. واستولى الجزائريون كذلك على فرقاطة سويدية كانوا يعتقدون أنها دانماركية اقتادوها إلى مدينة الجزائر حيث تم تحريرها.

خلال أسرنا كنا نأكل جيدا، لكننا لم نكن نشرب سوى الماء، وهو الشراب الاعتيادي للأتراك، وماء هذه المدينة عذب وحلو. لقد أقمنا ثلاثة أيام. كان الداى يراقبنا أثناء عبوره إلى حدائقه بعد تناوله وجبة الغداء، حيث كان يتجه إلى حديقة للتنزه بعد الظهيرة رفقة اثنين من وزرائه، وعدد من المسيحيين الخدم. وفي اليوم الثالث قَدِمَ إلينا كاتب مسيحي مكلف بتعداد المسيحيين وتسجيلهم والمسؤول عن مجموع الأسرى المسيحيين وأخبرنا أنه علينا المثل أمام الداى فى ساحة قصره. وبناء على أوامر الداى أحضر هذا الكاتب معه القبطان واثنين من الأسرى التابعين لمجموعتنا، بينما بقينا نحن فى أماكننا. بعد ذلك أعيد القبطان إلى السجن وبقي الأسيران، المسافر وحارس قمره قيادة السفينة اللذان سبق ذكرهما يعمالن كخدم فى قصر الداى، حيث كان يوجد هناك العديد من الخدم الشباب. ولقد كان الداى يعشق رؤية هؤلاء الشباب من مختلف الجنسيات، تخيلوا معي أعزائي القراء أن الداى لم تكن له رغبة فى النساء، فكان يبحث عن إشباع رغباته عند هؤلاء الشباب الأبرياء ذوي التربية الجيدة، الذين كانوا يوفرّون له المتعة أكثر من أي شيء آخر.

8. في سوق الباديستان:

يصف لنا الأسير كيف كان يتم بيع الأسرى في سوق الباديستان حيث يقول: "بقينا نحن الثمانية في ساحة القصر نجعل مصيرنا. ثم بعد ذلك تم اقتيادنا إلى السوق العام أين كان التجار يتفقدوننا ليقررروا هل سيقومون بشرائنا أم لا. وقد كتبوا على ظهورنا من الرقم واحد إلى ثمانية، إن فكرة بيعي كعبد بدون سبب لا زالت تمثل لي ألماً كبيراً. لقد بقينا في هذا المكان حتى الظهر، حيث عاد إلينا الكاتب المذكور أعلاه، وأشار إلينا بأن نتبعه حيث أخذنا إلى قصر الداوي ومثلنا أمامه. بعد ذلك جاء أحد الأتراك وأخذ معه خمسة من الأسرى المرافقين لنا. ولم يبق إلا ثلاثتنا. وبعد أن قمنا بالانحناء للداوي، جاء تركي وأخذ أحدنا من يده وتحوّل به في ساحة القصر المربعة الشكل، وكان هناك حشد من الناس وأخذ ينادي بأعلى صوته: "من يزيد على المبلغ الذي قدمه الداوي؟" هذا الشيخ التركي الذي من المحتمل أنه كان هو الدلال في المزاد العلني، كان ينتقل بين بوابة القصر، والساحة المتواجدة خارج القصر وهو ينادي بأعلى صوته من يريد أن يزيد (لقد علمنا ذلك فيما بعد). وعلاوة على عدد كبير من الناس العاديين في هذا المكان، كان هناك عدد كبير من الأسياد، والحراس والجنود والخدم، والذي يدفع أكثر هو الذي يفوز بالأسير في النهاية؛ ويصبح الأسير ملكاً له. وأما الأسيران الآخرون فقد كانوا يقفزان كالأرنب مع التركي، وبما أن المبلغ المقترح لم يكن مرضياً للداوي فكان عليهما أن يصبحا خادمين لهذا الأخير ولا يتم بيعهما. أخذ الأسيران إلى المكان الذي كان يتواجد فيه الأسرى الخمسة الآخرون، أي وراء جدار القصر، أين قام تركيان بإعطائهم ثياب الأسر التي كانت تتكون من ست قطع: معطف ذو قلنسوة، وبلوزة بدون أكمام، وسروال تركي أبيض، وقميص أبيض قصير، وزوج من الشباشب، وقميص. كان القماش رقيقاً وردياً، وكل هذه الألبسة كانت بالية وأتلفتها العثة."

9. وصف الحياة في السجنون:

بعد ذلك اقتادونا إلى أحد سجونهم كانوا يسمونه بنجر بايلك. هذا السجن كان رهيبا، لم نكن نفهم لغتهم، وليس لدينا من الألبسة ما يمكن أن نحتمي به من برد مدينة الجزائر في شتاء هذه السنة الذي كان قاسيا. لهذا السبب لقد قاسينا كثيرا خلال الأسر."

"وفي هذا السجن وجدنا من 300 إلى 400 أسير مسيحي أغلبهم إسبان، وكان لهم غرف خاصة، بالإضافة إلى الأسرى الخمسة من سفينة ألتونا الذين سبق الكلام عنهم، وعلاوة على هذا السجن يوجد سجنان آخران في المدينة يضمن نفس العدد من الأسرى. وبعد ذلك نقلونا إلى سجن آخر يسمونه بنجر قاليرا، حيث كنا نعيش مع حوالي ثلاثين من الأسود والنمور التي كانت تزجر باستمرار، وكانت السلاسل المقيدة بها تحدث ضجيجا حينما كانت تحطم السلاسل وتقفز من أمكنتها، فكان يسود الهلع والرعب في نفوس الأسرى التعساء، فيهرعون مذعورين إلى الأماكن المرتفعة للاحتباء بها. وحين لا يكون حضور هذه الحيوانات المفترسة كافيا، هناك أنين العبيد المكبلين بالسلاسل الحديدية لارتكابهم جرائم خطيرة، حيث كان كل أسيرين مكبلين بقيد واحد طول النهار، وكانوا يقتادونهم كل يوم إلى العمل خارج السجنون."

عندما وصلنا في هذه الليلة إلى السجن وكنا متعبين حيث مشينا طول النهار وتحولنا في الساحات الملكية، ومثل بقية الأسرى قاموا بتقييد أقدامنا بالسلاسل الحديدية أثناء الليل، ثم ناولنا الأتراك قليلا من الخبز الممزوج بالشعير والقمح، وهو يعادل تقريبا خبز الجودار الذي يبلغ ثمنه عندنا 2 شيلينغ، كانت هذه وجبة العشاء بعد يوم عصيب. ثم دلونا على المرقد الذي يحتوي على غطاءين رقيقين الذي هو الفراش والغطاء في آن واحد، كما أعطونا ملابس الأسير.

في يوم الغد، جاء أحد العمال لينادي على الأسرى للتوجه إلى العمل، وقام الحارس التركي بفتح كل أبواب السجن، لأن على الجميع الذهاب للعمل. لقد كنا نعمل كالبحارة، وكان أول عمل لأول يوم إنزال حمولة الشباك الذي حملنا إلى مدينة الجزائر، وكنا نشاهد بألم كبير الأتراك يأخذون أغراضنا معهم. وقدموا لنا في هذا الصباح قليلا من الخبز، مع كمية من الخل وحببات من الزيتون وبضع قطرات زيت الزيتون، عدا ذلك لم يكونوا يقدمون لنا شيئا في كثير من الأحيان قبل وجبة الغداء."

وكانوا يقومون بالنفخ في البوق، ويرفعون علما أبيض على كئنائسهم،²⁶ وعلى أبراج المراقبة لكي يتنبه الجميع بأنه وقت الغداء. وليس لديهم الأجراس لأنها تخيفهم، وإذا قدمت سفينة تحمل على متنها جرسا، كان عليهم إيقافها حتى لا تحدث ضجيجا. كانوا يمنحون قطعتين من الخبز لكل أسير، وعند الساعة الرابعة والنصف مساء ترفع الراية البيضاء مرة واحدة لإعلام الأسرى أنهم أحرارا ببقية اليوم، حينما لا يكون هناك عمل مهم لإنهائه؛ أما إذا كان هناك عمل، فإن الأسرى يتوجب عليهم العمل طول الليل لإنهائه. بعد ذلك كان على الأسرى المرور على باب البحر للمعاينة قبل دخولهم باب المدينة للوصول إلى السجن، وكان للأسرى حوالي ساعة يتوقفون فيها عن العمل للراحة. ثم يأتي واحد من الأسرى ليسجل الغياب، حيث ينادي على الأسرى بحضور حارس تركي يراقب ويتأكد من أن الجميع حاضرون. وبعد ذلك يمنح كل واحد منا قطعة خبز للعشاء، أكبر قليلا من القطعة التي كانت تقدم لنا عند الغداء؛ وكانوا يقدمون لنا الماء للشرب. وبالتالي كان علينا الاكتفاء بالخبز والماء، قبل أن نتلقى بعض الأموال على يد تاجر فرنسي. ذلك أن القنصل الدانماركي قبل أن يغادر مدينة الجزائر كان قد طلب من هذا التاجر باسم الملك تقديم المساعدة للأسرى الدانماركيين في حالة احتاجوا إليها.

فليبارك الله سيدنا الكريم، ومن المؤكد أن الخدمات التي قدمها لنا هذا القنصل مع التاجر الفرنسي لم تكن بسبب الملك، حيث كان هذا التاجر يُقدم لنا بانتظام ستة من الملابس الداخلية، ثم كان يتبعها بألبسة ضرورية. حيث كانت الألبسة التي قدمها لنا الداي البالية، ولم تكن قوية بما فيه الكفاية لمقاومة العمل الشاق الذي كنا نقوم به، علاوة على أن العثة أتلفتها، وهي رقيقة لا تحميها من برد الشتاء، إذن لم أجد الكلمات المناسبة كي أعبر عن سعادتنا وإحساسنا ونحن نتلقى هذه المساعدة.

في شهر جانفي 1770 وصلت فرقاطة هولندية إلى ميناء مدينة الجزائر، كانت تحمل الأعلام الملكية. وفي شهر فبراير غرقت فرقاطة فرنسية جميلة في ميناء مدينة الجزائر؛ فقام القبطان الفرنسي بشراء سفينة كوبنهاغن الدانماركية وغادر الميناء في شهر أبريل.

كان يتوجب علينا العمل يوميا، ونحن مقيدون بالأغلال، وبما أن ملابسنا كانت رقيقة فقد كنا لا نطبق تحمل البرد. وكان الأتراك واليهود يرفعون معنوياتنا بقولهم لنا أننا سنحصل على حريتنا في الربيع القادم:

ستأتي سفيتان داتماركيتان لإبرام معاهدة صلح مع الجزائر، وتقوم بتحريرنا. في فصل الشتاء جاءت عدة سفن إنجليزية وفرنسية إلى ميناء مدينة الجزائر. وفي يوم 8 ماي وصلت فرقاطة إنجليزية حربية إلى الميناء، كما وصلت سفينة قادمة من الشرق يوم 30 من نفس الشهر كان على متنها جنود أترك. ولم يكن هناك سوى سفير السلطان الذي جاء إلى الجزائر للتوسط من أجل التفاوض بين الداتمارك وحكومة الجزائر. ووصلت سفينة برتغالية من نوع البريك يوم 5 جوان؛ تم أسرها على يد الشباك الجزائري الذي قام بالاستيلاء علينا، وكانت السفينة المذكورة قد تعرضت إلى عاصفة في شهر جانفي دفعتها إلى ناحية بونة²⁷ حيث اضطرت إلى البقاء في ميناء هذه المدينة طول فصل الشتاء.

وبحلول فصل الربيع، أخبرونا أنهم ينتظرون وصول العديد من السفن الداتماركية إلى مدينة الجزائر، نحن كنا فرحين، لكن الجزائريين كانوا مغتاظين؛ وقرروا أن لا يخشوا شيئا قبل ظهور هذه السفن. وفي يوم 2 و3 جويلية وصلت إلى ميناء الجزائر إحدى عشرة سفينة داتماركية؛ فغمرت الفرحة قلوبنا، وكان باقي الأسرى المسيحيين فرحين كذلك. بينما كان الجزائريون يستعدون بأقصى سرعة لأية مواجهة، وهكذا كان على الأسرى المسيحيين أن يعملوا أكثر، وخاصة أنهم لم يدخروا أي رجل للمشاركة في التحضيرات. الكل كان يعمل الأتراك، اليهود والمور. لكن المسيحيين هم الذين كانوا يقومون بالأعمال الشاقة؛ وفوق ذلك كانوا يسخرون منهم ويضربوهم. وقد تمكنوا بسرعة كبيرة من إنجاز حاجز من الرمال وأغصان الأشجار في الجهة الشمالية من تحصينات فاتي de Vatter تتكون من عشرة مدافع ومدفعين من قذائف الهاون. ثم صنعوا صهريجاً كبيراً وجعلوا فيه أكياساً كثيرة من الصوف من أجل الحماية من ضربات المدافع. ثم وضعوا هذا الصهريج عند الميناء، كما جعلوا مدفعين كبيرين، ومدفعين من نوع الهاون خارج إحدى البوابات الواقعة وسط التحصينات. ونصبوا في الميناء أربعة مدافع هاون، ووضعوا ستة مدافع أخرى في الجهة الشمالية من المدينة؛ إنهم يستعدون لمواجهة الحصار. وبعد يوم من وصول السفن الداتماركية، أبحر القنصل الفرنسي نحو القائد شوتبيناشت لمعرفة ماذا يريد، وما الذي جاء به، وبعد ذلك عاد إلى الداى ليخبره رد هذا القائد.

وفي هذه الأثناء كانت تتواجد الكثير من السفن الداتماركية في ميناء مدينة الجزائر، وكان الجزائريون يخشون من أن تقوم هذه السفن بإطلاق القذائف حيث كانت توجه مدافعها نحو المدينة أو التحصينات

(لأن الميناء كان يقع بين المدينة والجزيرة)، وبدؤوا في الانسحاب، ورفض البعض الحضور لدى القائد الدانماركي شوتبيناشت. إذن أعطى القائد المذكور الإشارة إلى فرقاطة دانماركية بالبحاق بفرقاطة فرنسية كانت على وشك أن تغادر الميناء، وقد تمكنت الفرقاطة الدانماركية من تجاوز التحصينات الجزائرية ولكنها عندما اقتربت من المدينة توقفت الرياح مما سمح لدفاعات الميناء الأقرب منها بإطلاق القذائف عليها فأصابت اثنتين أو ثلاث كرات أشرعتها، لكن برعاية الله لم تلحق أضرار كبيرة بالسفينة، وبعد ذلك هبت رياح أصبح معها بالإمكان الإمساك بالفرقاطة الفرنسية لكن الرياح دفعتها داخل الميناء.

وفي اليوم الموالي حدث نفس الشيء، حيث تمكنت الفرقاطة كريستيانزي من الإمساك بالفرقاطة الفرنسية رغم أنها أطلقت عليها النيران، ورغم أن الرياح لم تكن قوية، غير أنها لم تتمكن من إصابتها بأي ضرر.

بدأت السفن الدانماركية في قنبلة مدينة الجزائر يوم 6 جويلية على الساعة الرابعة مساء، لكنها لم تحرز أي تقدم قبل حلول الليل، حيث استمر القصف حتى الفجر، لكننا لم نتمكن من إلحاق أي خسائر بها. مع الأسف لم تكن القنابل تصيب المدينة. فالشوارع ضيقة إلى درجة لا يمكن لشخصين المشي جنباً إلى جنب في الشارع الواحد، ولا يوجد متسع بين البيوت: مما يجعل القنبلة ذات فعالية كبيرة. ولما فشل الهجوم ازداد الأتراك تبجحاً وتكبراً، وتعرضنا نحن الأسرى البؤساء إلى السخرية، كما أن السكان ترسخ الاعتقاد لديهم أن مدينة الجزائر مدينة غير قابلة للغزو، وعلاوة على ذلك كنا نمر على حرس الميناء عند ذهابنا إلى العمل اليومي، فكان بعضهم يسخر منا، ويهددوننا بالذبح بسيوفهم، ويصقون علينا، ويرمون علينا الأوساخ وهم ينادون: "دانماركيون دانماركيون... كلاب ممسوخة، أوغاد، مخادعون".

إذن كانت كل المدينة في حالة استنفار قصوى، وبناء عليه فقد كانوا مجهزون من سبعة إلى ثمان سفن من نوع الغليوطة ذات المجاديف، وسفينة من نوع الغالير، وكانوا يخرجون لمحاولة الاستيلاء على قاذفات القنابل الدانماركية والعودة بها إلى الميناء، وعلاوة على ذلك وعد الداوي بأن يكافئ كل من يقوم بالاستيلاء على هذه القاذفات. وتبغى الإشارة إلى أنه لا يوجد في الجزائر لا ذهب ولا نفود. ورغم ذلك كان الأتراك يخافون من قاذفات القنابل التي كانت تحملها السفن، كما كانوا يخافون من المدفعية الثقيلة للسفن، ولهذا

السبب لم يكونوا يقتربون منها وكانت محاولاتهم بالاقتراب تبوء بالفشل. ولما كانت محاولاتهم لا تنجح فقد كانوا يجبرون الداوي أن هذه القاذفات مربوطة بالسفن بواسطة سلاسل حديدية لا يمكن نزعها، وكانت السفن الدانماركية تُطلق القنابل على قوارب شبك القراصنة الجزائريين كلما حاولت الاقتراب منها، فكانت تفشل في تحقيق أهدافها.

وفي هذه الأثناء كان على المسيحيين أن يعملوا باستمرار؛ حيث كانوا يحملون الحبال وأكياس الصوف التي كانت توضع لحماية الجنود، كما كانت توضع كذلك عند التحصينات وعلى الأسوار وأماكن أخرى: هذه المواد كانت تستعمل لحماية المدافعين من الإصابة بالكور. بالإضافة إلى أننا كنا نساعد أسرى مسيحيين آخرين على نقل المدافع، ومدافع الهاون، والقنابل والكور، لأن الأتراك كانوا ينتظرون هجوما عنيفا من طرف الدانماركيين.

وأثناء حصار الدانمارك لمدينة الجزائر كان الأسرى المسيحيون مكبلين بالأغلال الحديدية عند الأقدام والخصر، ورغم ذلك كان عليهم الاستمرار في العمل، وكان الموظفون وآخرون كانوا يقومون بأعمال أقل شقاء كانوا كذلك مقيدون بالسلاسل مثنى مثنى، والذين ارتكبوا جرائم كانوا يعملون وهم مقيدون بالسلاسل. عندما غادر الأسطول الدانماركي مدينة الجزائر في اتجاه ميناء ماهون²⁸ يوم 15 جويلية، تم تحرير الأسرى المسيحيين من السلاسل الحديدية، إن وجود هذه السلاسل يجعل من العمل في غاية الصعوبة. ولم يعد الأتراك يخشون ثورة أو تمرد المسيحيين، فقد كانوا يكتفون بمراقبتهم، ولكنهم كانوا أكثر حذرا لما تقترب سفن الأعداء من المدينة.

وخلال قصف السفن الدانماركية لمدينة الجزائر، كان كل الأسرى المسيحيين من كل الجنسيات فرحين، وكانوا يهتفون عند إطلاق كل قنبلة "يحييا ملك الدانمارك"، ومن المؤكد أنهم كانوا يأملون أن تستولي الدانمارك على مدينة الجزائر لكي يتحرروا من الأسر، لكنهم أصبحوا أكثر عداوة للأسرى الدانماركيين من الأتراك بعد فشل الهجوم. وكان الكثير منهم يحتقروننا لأننا كنا لوثريين²⁹، ذلك لأن غالبيتهم كانوا كاثوليكين. لقد كانوا يلوموننا؛ ويقولون لنا أن المسيحي الحقيقي لا يأكل اللحم يوم الصوم الأكبر، ولا يومي الجمعة والسبت، بينما هم على العكس منا، لا يأكلون اللحم إلا عند الضرورة القصوى، عندما يصبح الجوع لا يطاق، لأنهم

هم كذلك أسرى، وكان عليهم قبول كل ما يُقدم إليهم من طعام للأكل. وكانوا يحتقروننا أكثر من الأتراك لأننا كنا نتناول اللحم في الفترات التي يُحرم فيه تناوله عند الكاثوليكين.

في أواخر شهر جويلية غادرت ميناء الجزائر، أربع أو خمس سفن للقرصنة. وفي 31 أوت وصلت إلى مدينة الجزائر سفينتان صغيرتان من نوع الشبّاك، وثلاث أنصاف الغالير من مدينة سلا التابعة لإمبراطور المغرب³⁰.

و لما غادرت العمارة الحربية الدانماركية بوقت قصير، قام الجزائريون بتجهيز فرقاطة، وثلاث سفن من نوع الشبّاك لإرسالها إلى اسطنبول من أجل المساعدة في الانتصار على الأسطول الروسي. وخلال هذه الفترة وصل إلى ميناء الجزائر عدد من السفن الأجنبية، لكنها لم تغادر هذه المدينة قبل أن تصبح السفن الأربعة التي سبق ذكرها جاهزة تماما للانطلاق. وفي يوم 17 أوت انطلقت هذه السفن في اتجاه القسطنطينية، لكن كان على سفن الأجانب البقاء في ميناء مدينة الجزائر لبضعة أيام، لأنهم كانوا يخشون أن تخبر هذه السفن الدانماركيين الذين كانوا متواجدين في ميناء ماهون بمشاريع الجزائر: لأنهم كانوا يخشون هجوماً آخر من طرف الدانماركيين.

إذن كان الجزائريون يفتخرون بأن الدانماركيين لم يتمكنوا من إصابة مدينتهم بقنابلهم، وبينما تمكنوا هم من إلحاق خسائر في أسطول الأدميرال الدانماركي بعد قبيلته؛ حيث سقط 30 جندياً وضابطاً أصيبوا بجروح خطيرة أو قُتلوا، وأصابت قنابلهم جسرين لسفينة أحدثت فيهما ثقباً كبيراً. ولكن بعد وقت قصير عرفنا أن كل ما قيل لنا غير صحيح، لأن قنابلهم لم تكن لها القدرة على إصابة السفن الدانماركية، وكثير من قنابلهم كانت تنفجر في الهواء. وبالإضافة إلى ذلك اطلقوا قصصاً عجيبة عن كيفية تخلصهم من أعدائهم. وكانت طريقة تعبيرهم - حسب الشيء القليل الذي فهمناه وحسبما شرح لنا الأسرى الآخرون - لم تكن مرضية بالنسبة لنا نحن الأسرى الدانماركيين. وذات مساء كان الجزائريون يحتفلون بإطلاق إحدى السفن؛ فقام أحد السكان المور بأداء أغنية من أغاني الفرحة عازفاً على آلة موسيقية تشبه آلة القيثارة عندنا، فأجزل له الجنرال العطاء لأن هذه الأغنية أعجبتته.

وفي فصل الخريف غادرت سفينة إلى ميناء ماهون، كانت قد اشترت سفينة البريك³¹ التي أخذها منا الجزائريون. وفي شهر ديسمبر وصلت فرقاطة إنجليزية إلى ميناء مدينة الجزائر؛ قيل أنها تحمل رسائل من الدانمارك. ثم في نهاية شهر جانفي من العام المقبل قدمت سفينتان إلى الميناء، واحدة سفينة حربية هولندية، والثانية سفينة ذات ثلاث صواري تحمل الأعلام الملكية الهولندية وبعض إمارات الحكومة العامة province de l'état généraux. وفي شهر فبراير قدمت فرقاطة حربية إنجليزية تحمل رسائل بشأن مفاوضات السلم بين الدانمارك والجزائر، ثم غادرت ميناء الجزائر في نفس الليلة.

كانت هذه الفترة مليئة بالقلق والحزن، لقد أمضينا نحن الأسرى الشتاء في العمل، وكنا تارة مفعمين بالأمل، وتارة أخرى يحطمننا الخوف. وعندما انتشر الخبر أن الدانماركيين سيعودون هذا الربيع بقوات مضاعفة، كان الجزائريون يستعدون لمواجهة هذا الهجوم. فشرعوا في بناء ست أو سبع بطاريات، في الجهة الشمالية والجنوبية من المدينة، وفي كل الأماكن الحساسة. وعلاوة على ذلك كانوا يجهزون لإنجاز الكثير من الكمائن، فكان علينا نحن الأسرى الدانماركيين، وكذلك بقية الأسرى المسيحيين أن نحمل جذوع الأشجار من الأرياف إلى مدينة الجزائر، يعني على مسافة تتراوح بين 20 و30 كلم. كنا نطلق مبكرا ولا نعود إلا في المساء، ومع اقتراب موعد الهجوم كان علينا القيام بذلك العمل مرتين في اليوم؛ وكان العمل شاقا وصعبا بالنسبة لعدد يتراوح من 16 إلى 24 رجلا.

كان الطريق شاقا، وكنا حفاة القدمين، وعلاوة على ذلك كان علينا أن نعبر الأدغال المليئة بالأشواك، والمياه والمستنقعات. والشتاء كان شديد البرودة، والطريق كثير الصعوبة. كنا نحمل الأخشاب ونمشي في المنحدرات الضيقة المليئة بالحصى والأحجار. كان عليهم إنجاز من 6 إلى 8 سفن من نوع الغليوبات المقبلة، وإثنتين من سفن النصف غالير. وكانت الكميات التي حملناها من الأخشاب تفوق ما كانت الحاجة إليه، لكنهم احتفظوا بالباقي للمستقبل.

على الجزيرة الصغيرة التي تقع عند أسفل مدينة الجزائر، كانوا يعملون على تشييد حصن كبير يحتوي على 24 مدفعا. ولبناء هذا الحصن تم تسخير الكثير من الأسرى المسيحيين الذين كانوا يعملون كذلك في التحضير لتحسينات أخرى، للاستعداد لهجوم دانماركي يعتقدون أنه سيكون في ربيع سنة 1771، وبالتالي

لم يتوقفوا عن اصطياد المسيحيين والاستمرار في تعذيبهم، وأثناء الأشغال كاد الكثير من المسيحيين أن يهلكوا، لأنهم لم يحتاطوا لذلك، وعلاوة على ذلك لم تكن للقباطنة الأتراك خبرة ودراية بهذا العمل.

وفي فصل الخريف التالي امتطى الأتراك سفنهم ومضوا إلى البحر لممارسة نشاط القرصنة كالمعتاد، لكنهم في هذه المرة لم يتمكنوا من الحصول إلا على غنيمتين صغيرتين تمثلتا في قارين، وتمكن القراصنة الإسبان كذلك من الاستيلاء على قارين من قواربهم، ولم يحاول الأتراك الخروج إلى القرصنة بواسطة سفنهم الضخمة، لأنهم كانوا يخشون السفن الدانماركية التي كان بإمكانهم رؤيتها من المدينة، كما كان بمقدور هذه السفن رؤيتهم كذلك، ذلك أن السفن الدانماركية في بعض الأحيان كانت تتجول بالقرب من مدينة الجزائر، وكان الملك³² وباقي رجال حكمه غاضبين، كان شخص طاعن في السن من السكان المور هو من يُبلغ الملك متى شاهد قاربا دانماركيا، حيث كان يتردد على الملك مرتين أو ثلاث ليعلمه أنه رأى سفنا تابعة لحكومة الدانمارك، في هذه الجهة أو تلك من البحر. وكان هذا الرجل يسكن في منزل يقع في أعلى مكان في المدينة، حيث كانت مدينة الجزائر تقع عند منحدر وهي تشبه إلى حد ما مدينة ستينبرجات التابعة لتروندهايم Steenberget de Trenhiem، لكنها أكبر منها كثيرا. وكان لهذا الرجل بنت شابة ذكر أن لها قدرة خارقة على الرؤية، حيث كان بإمكانها رؤية السفن وهي لا تزال بعيدة جدا في عرض البحر.

مرت هذه السنة دون قدوم الدانماركيين، ويعتقد الجزائريون أن الدانماركيين سوف يهاجمون الجزائر في موسم الربيع القادم بقوة ضخمة، لأنهم يرددون هنا في الجزائر أن الدانماركيين جهزوا عمارة مقبلة ذات الصاريتين، وأسطولا مجهزا بالمدافع سيأتي بهدف محاصرة مدينة الجزائر.

في شهر فبراير 1772 وصلت سفينتان هولنديتان إلى مدينة الجزائر تحملان الشعار الملكي، تتكون من فرقاطة حربية وسفينة محملة بالبضائع، هذه الشعارات الملكية تدل على أن الأسطول يرغب في السلم الذي سبق أن تكلمنا بشأنه مع الجزائر. في ربيع هذه السنة لا يزال الحديث هنا حول مسعى السلم وقدوم الأسطول الدانماركي من أجل السلم.

ومصدر هذه الإشاعة في الحقيقة أنه في مساء يوم 5 ماي لم نكن ننتظر أن نشاهد سفينتين حربيتين دانماركيتين تقتربان رويدا رويدا من مدينة الجزائر، وبسبب هيجان البحر حينها مكنتنا في مكاتهما في عرض

البحر، ولذلك كنا نعتقد أنهما لا تزالان هناك لأننا شاهدناهما أكثر من مرة من قبل تتجولان قرب الشواطئ، وفي اليوم السابع من نفس الشهر شاهدناهما أكثر قربا من مدينة الجزائر، ولكنهما لم تتقدما إلى الشاطئ حتى مساء ذلك اليوم، لأن البحر كان هادئا جدا. لقد علمنا بهذا الخبر الجديد ونحن في السجن، لكن فكرة أنهم جاءوا من أجل إبرام معاهدة سلام لم تكن فكرة سارة بالنسبة لنا. فلم نكن مخطئين في اعتقادنا لأن الأميرال هوغلاند³³ باعتباره قبطان الأسطول الدانماركي في البحر المتوسط قائد الأسطول تلقى الأمر من الملك بالقدوم إلى الجزائر من أجل إقرار السلم بين البلدين. وكان الأسطول الذي وصل إلى مدينة الجزائر يتألف من الفرقاطة الحربية غرانلاندا، Grøland تحت قيادة القبطان غراف مولتكة Grev Moltke³⁴، وكانت الفرقاطة كريستيانسوه، Christiansoev بقيادة القبطان فلوجلان³⁵ Vløgell، وكان برفقتهم القنصل. ولما وصل الأسطول في المساء ذهب القنصل الإنجليزي وفقا لأوامر الداوي إلى السفينة التي يتواجد بها قائد الأسطول لمعرفة سبب قدومه، ولما علم أنهم جاءوا من أجل إبرام معاهدة السلم (وهو أمر من المحتمل أن يكون على علم مسبق به)، أعطى الداوي الإذن للقنصل بالنزول من السفينة للتفاوض مع الداوي شخصيا، كما سمح لباقي الضباط بحرية النزول من السفن أو البقاء فيها، ووضعونا نحن الأسرى في خدمتهم.

غير أن البحارة لا يمكنهم إنزال القوارب الصغيرة التي نقلت الأسبياد إلى المدينة فعليهم الانتظار حتى ينتهي إبرام معاهدة السلم بنجاح، وطبقا لأوامر الحراس الأتراك الذين كانوا يحرصوننا لم يكن يحق لنا الحديث مع ركاب هذه السفن من مواطنينا الدانماركيين حتى وإن كانت لنا رغبة قوية في الحديث إليهم. وخلال الوقت الذي كانت تجري فيه المفاوضات كان الأتراك غاضبين منا فلا يكلمون أحدا وكانوا ينهالون علينا بالضرب كلما حاولنا تنظيف السفن الدانماركية.

وكان القنصل والضباط الكبار ينزلون من السفن كل يوم للذهاب إلى المدينة، ويصعدون في المساء على متن السفن لإعلام أميرال الأسطول بكل ماجرى من مفاوضات مع الداوي، ودام الأمر على تلك الحال حتى يوم 16 ماي حيث تم التوصل في الأخير إلى توقيع معاهدة السلم. وبعد ذلك قامت التحصينات الجزائرية الموجودة عند الميناء بإطلاق 27 طلقة مدفع تحية للأسطول الدانماركي، وعلامة على توقيع معاهدة السلم بين البلدين، فقام الأسطول الدانماركي بالرد على التحية بإطلاق سفينة الأميرال 27 طلقة مدفعية.

بعد ذلك كانت المدينة تتمتع بالسلام، وكان بإمكانها في الأخير القيام بحملات قرصنة دون عراقيل. وأما نحن الأسرى التعساء فقد شعرنا أننا ولدنا من جديد، ولكن لم يمض وقت طويل على توقيع معاهدة السلم حتى قامت الجزائر بتجهيز سفينتين من نوع الشباك، أو قاربين شرعيين للخروج إلى البحر لممارسة القرصنة، وكانت مسرورة لأنه لا توجد سفن داتماركية في البحر تعيق نشاطها وتمنعها من ممارسة اللصوصية.

وفي اليوم السابع من شهر ماي والأيام التي تلتها، كنا منمهمكين في العمل اليومي، وفي اليوم الثامن عشر من نفس الشهر نزل من السفينة الأميرال شخصيا يرافقه القنصل وكبار الضباط لمكالمة الملك،³⁶ وكذلك باقي السادة حكام الجزائر. وفي يوم 21 ماي أمرنا نحن الأسرى الذين كنا نعمل في الميناء بالتجمع، ثم تم اقتيادنا إلى السجن حيث نزعوا عنا الأغلال التي كانت تقيد أقدامنا، وعلى جناح السرعة قمنا بجمع ما تبقى معنا من ملابس قبل أن يقوموا باقتيادنا إلى الداوي، وكان هناك أسرى داتماركيون آخرون، كان عددها ثلاثون (30) أسيرا ملكا للداوي، بالإضافة إلى 9 أسرى كانوا ملكا لشخصيات أو بيعوا لسادة آخرين، وضعونا جميعا في ساحة قصر الداوي. كان هناك كاتبان داخل قصر الداوي مَنَحَا لكل واحد منا تذكرة، بعد ذلك غادرنا قصر الداوي ونزلنا إلى المدينة، حيث تم تقديمنا أولا إلى الأميرال الداتماركي، ثم بعد ذلك توجهنا مباشرة إلى مكان الإفلاج كي نتهبأ للصعود إلى الفرقاطة كريستيانزي التي كانت في انتظارنا في الميناء، وقبل صعودنا للسفينة كان علينا تسليم التذكرة التي أعطيت لنا عند مغادرتنا قصر الداوي. كان هناك حارس تركي خاص مهمته المراقبة والحرس على أن لا يغتتم أي غريب الفرصة ويتسلل إلى السفينة.

كان عدد الأسرى لدى الداوي 30 أسيرا، 23 أسيرا منهم كانوا يعملون في الميناء، وكان قائدنا يقيم في أغلب الأوقات لدى القنصل الهولندي، وقائدان آخران كانا يقيمان عند القنصل السويدي. وهناك أربعة آخرون كانوا يخدمون الداوي نفسه، اثنان منهم جاءوا على متن سفينة تروندهايم Trondheim، وواحد جاء على متن سفينة ألتونا Altona، في حين قدم الأسير الرابع من بورغن Borgen، على متن سفينة كوبنهاغن. الأسرى الأربعة تم تحريرهم كذلك والتحقوا بنا على ظهر السفينة، بينما بقي 9 أسرى داتماركيين تأخر التحاقهم بنا إلى يوم 30 مايو، لأنهم كانوا ملكا لأسياد آخرين، وسبب تأخرهم يعود إلى رفض أسيادهم تسليمهم باعتبارهم ليسوا من أسرى الداوي، وذكروا أنهم غير معنيين بتوقيع البتلم مع حكومة الجزائر. وبعد

ثمانية أيام كَلَّلت الجهود بتخليصهم من الاستبداد، وتم تحريرهم وركبوا على متن السفينة وهم يرددون عبارات الشكر لله كما شكرناه كذلك نحن الذين تحررنا من الأسر في هذه المدينة التي يمتن سكاؤها للصوصية، والسلب وهي هوايتهم المفضلة.

وأخيرا تحررنا بعد سنتين وسبعة أشهر وثمانية عشر يوما، عانينا خلالها من الجوع والبرد وكذلك السخرية وأحيانا كنا نُشبع ضربا على يد الأتراك لما يكونون في حالة غضب.

كنا واحدا وأربعين أسيرا أصبحنا عند إطلاق سراحنا 39 فقط، حيث لقي اثنان منا حتفهما لما سقطا من أعالي البنايات، الاثنان قدما على متن سفينة ألتونا، وهناك أسير آخر فقد ذراعه بسبب سقوط مدفعي تركي من الأعلى أصابه وقتل أسيرين برتغاليين، لما رأى قدوم السفن الدانماركية، وأصيب هذا الأسير الدانماركي بجروح بليغة في ذراعه تسببت في بترها، ووضع هذا التركي الكثير من الأسرى في خطر موت محقق، كما أصيب الكثير من الأسرى في هذا الحادث بجروح لكنهم تماثلوا إلى الشفاء فيما بعد، وكان هناك أسير آخر كُسرت رجله وتوفي فيما بعد؛ ولذلك ليس من الصعب أن نفهم أننا كنا ضعفاء للغاية بسبب هذا العمل الشاق.

رفعنا المرساة لمغادرة ميناء مدينة الجزائر مساء يوم 30 ماي، وفي صبيحة يوم 31 ماي التقينا حوالي 70 ألف من بحارة السواحل وسفيتين دانماركيتين إحداهما السفينة الحربية " Slesvig " والثانية الفرقاطة "الس" "Als"، بعد ذلك أعطت سفينة الأميرال إشارة الانطلاق، فالتجهت السفينة كريستيانزي إلى ميناء ماهون، في حين اتجهت السفينتان رفقة سفينة الأميرال إلى تونس لإبرام معاهدة سلم معها.

وفي يوم 3 جوان وصلنا ميناء ماهون أين وجدنا الفرقاطة فاستر التي اضطرت إلى اللجوء إلى هذا الميناء لإصلاح عطب في الصارية. حيث تعرضت لعاصفة في إحدى الحملات العسكرية، مكثنا خمسة أيام في الكراتينة،³⁷ وغادرنا ميناء ماهون في اتجاه مرسيليا في اليوم الثامن من شهر جوان، ووصلنا إلى هذه المدينة في اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه، فوجدنا في ميناء المدينة سفينة ملكية من نوع الشباك تم بناؤها على حساب نفقات الملك في البحر المتوسط للقيام بالنشاط في هذا البحر. علاوة على أن تواجده بالمنطقة كان تحسبا لاستئناف الحرب مع الجزائر.

أعلن الأمير أنه سيخضع لأوامر الفرقاطة كريستيانزي وأنه سيتبعها حتى مدينة كوبنهاغن. وفي اليوم الموالي لما كان القارب يتقدم من الفرقاطة الراسية في الميناء أخفق في الالتحاق بها وليست لدينا فكرة هل يعود ذلك لعدم احتراز القائد، أم لعدم معرفة عمق المكان، وكانت الصدمة قوية إلى درجة تعرضت فيها مؤخرة القارب إلى أضرار بليغة، فكان عليه حينها التوجه إلى ميناء مرسيليا لإفراغ البضاعة وإصلاح العطب. وكان على الفرقاطة التي كنا على متنها الانتظار مجددا. وخلال ذلك وافق القبطانان على السماح لـ 17 من أسرى الجزائر بالانطلاق على متن الشباك تحت قيادة القبطان ستوكفلث Le capitaine Stokfleth، وبعد ذلك يوم 25 جوان سوف نطلق نحن الذين قدمنا من تروندهايم، وفي يوم 28 سنرفع جميعا الأشرعة. وفي عرض البحر وجدنا العمارة الحربية سوجيران Sejeren مع كثير من السفن التجارية الأخرى، فاتبعناهم حتى مضيق جبل طارق، حيث غادرنا الفرقاطة بعد فترة قصيرة لأن البحر كان هادئا والجو جميلا، والتحقنا بها بعد يومين، لنتبع عنها مرة أخرى غرب إيرلندا.

وصلنا كرونبورغ Cronborg يوم 13 أوت في حوالي منتصف اليوم، أين أطلقنا بضع طلقات مدفعية تحية لما وصلنا أمام الحصن، فردوا على تحيتنا بطلقات مدفعية مثلها. وفي حوالي الساعة السابعة مساء ألقينا المرساة في ميناء كوبنهاغن. ومكثنا على متن السفينة إلى غاية يوم 15 أوت بعد الظهر: حيث أخبرنا القبطان ستوكفلث Stokfleth بأننا أحرار في النزول والتوجه إلى حيث شئنا، ألقنا إلى طولبودن Tolboden³⁸، وبمجرد أن وضعنا أقدامنا على الأرض مجددا اقتادنا أحد الحراس إلى القبطان، وبعد ذلك رافقنا إلى رئيس الشرطة الذي سمح لنا بما أننا أحرار بالذهاب إلى أي مكان نرغب فيه، للعثور على شقة نمكث فيها. وأثناء إقامتنا في كوبنهاغن طلبنا مرارا من القائد تقديم تعويضات لنا عن الأشياء التي ضاعت منا؛ ولكن طلبنا لم يفض إلى نتيجة تُذكر، لكن بفضل سخاء ملكنا حصل كل واحد منا على مبلغ من المال يسمح له بالعودة إلى الديار.

بعد ذلك عدنا إلى تروندهايم بصعوبة كبيرة، وهناك وجدنا عائلاتنا وأصدقاءنا في الانتظار، وعلى الرغم من الحالة المزرية التي كنا عليها حيث كنا شبه عراة مما لاقيناه من متاعب في رحلتنا، ولكون ألبستنا تعرضت للتلف في رحلتنا الطويلة منذ انطلاقنا، إلا أنه وجب علينا أن نشكر الله لأنه رافقنا في محنتنا ورعانا

بحرصه وحفظ لنا أرواحنا وصحتنا الجيدة، مع أننا قاسينا في رحلتنا وعمولنا معاملة متوحشة، فقد منحنا الله القوة والإرادة لتحمل المشاق والصعاب، وحافظنا على عقيدتنا وإيماننا، على الرغم من بقائنا كأسرى بين الأتراك والوثنيين وبعض المسيحيين السيئين المغرورين.

وفقنا الله وآنسنا مثلما حفظنا حتى الآن، ولتحمنا يده وترافقنا روحه في كل الأيام إلى النهاية آمين.

10. الملحق:

أعزائي القراء، تريدون الاطلاع على الأحداث التي جرت وقائعها أثناء فترة أسري، ومع أنني لا أرغب في إضاعة وقتكم في قراءة أخبار أرى أنها عديمة المنفعة، لكن اسمحو لي بإضافة ملحق بأشياء رأيتها بنفسني، وأشياء أخرى رواها لي أسرى مسيحيون أرجو أن تنال إعجابكم.

1.10. مدينة الجزائر:

تقع مدينة الجزائر على منحدر حيث يسمح موقعها هذا للقادم إليها عبر البحر من رؤيتها جيدا، حيث تُشاهد كل البيوت وكأنها مدرج، وهي محمية جيدا بواسطة قلاع من كل الجهات، بالإضافة إلى السور الكبير الذي يحيط بها مزودا بالمدافع.

وقاموا كذلك بحفر خندق حول السور، وتم ملؤه بالمياه. ويحتوي هذا السور على أربعة أبواب هي:

باب الجزيرة المؤدي إلى الجزيرة المرتبطة بالميناء، والباب الذي يقع في الجهة الشمالية يسمى باب الواد، والباب الذي يقع في الوسط يسمى باب عزون، والأكثر ارتفاعا يعرف بالباب الجديد. وتوجد قلعة محكمة الدفاع في أعالي المدينة تحرسها قوة كبيرة، يبدو أنها تخفي خزانة تحوي ثروة لا متناهية، وحسب المؤرخين من المتوقع أن تصبح مدينة الجزائر من أغنى المدن في العالم، ونظرا لأهمية تلك الخزانة فإنه توجد لها ثلاثة مفاتيح؛ واحد يكون بحوزة الداوي، والثاني بحوزة الخزندار، وثالث لدى شخص آخر. وتزخر المدينة بكمية كبيرة من الماء، كانت تنزود من خارج المدينة حيث جُلب³⁹ لها عبر قنوات تحت الأرض، وتكفي هذه المياه لتغطية حاجات السكان، وبسبب كونها تحت الأرض فإنها كانت تحافظ على برودتها ولا تجف حتى في الأيام التي ترتفع فيها درجات الحرارة. ويوجد عدد كبير من الحنفيات داخل القصر الملكي وأماكن أخرى. والمدينة قبيحة المنظر،

ومخيفة وشوارعها ضيقة ومظلمة، وتوجد بعض الأزقة ضيقة إلى درجة لا يمكن لشخص أن يمر من خلالها إلا بصعوبة.

وشيدت منازلها بالحجارة، وهي مربعة الشكل، وتتألف من طابقين إلى ثلاثة طوابق، وهي مسطحة ومتصلة ببعضها البعض إذ يمكن التنقل من بيت إلى آخر عبر الأسطح على طول الشارع. وميناء مدينة الجزائر صغير وغير محمي من الرياح الشمالية، لأن مياه البحر تمتد حتى الساحل، وفي حالة العواصف تمتد إلى أبعد من ذلك. ويوجد بالمدينة نحو ثمان مساجد كبيرة، تحتوي كل منها على منارة، إضافة إلى بعض المساجد الصغيرة الأخرى، أين يؤدي الأتراك صلواتهم، وعلى أية حال يؤدي الأتراك والسكان الأصليون الصلاة في كل الأماكن التي تحلو لهم.

2.10. العادات الجنائزية:

يقوم السكان بدفن موتاهم خارج سور المدينة في كل مكان، ولا يدفنون الميت في قبر سبق وأن دفنوا فيه شخصاً آخر، ولذلك تشغل المقابر مساحات كبيرة خارج المدينة، وكان يتم تغسيل الأموات ثم بعد ذلك يحملون إلى المقبرة. وكانت المقابر تبنى بالحجارة ويغطي الميت بقطعة حجارة أو بالتراب، وكانت عملية الدفن تتم بحضور أهل الميت والمقربين من أصدقائه. يقوم الكثير من الأتراك بتنصيب خيمة فوق قبر الميت للبكاء والنواح وخذش الحدود والجباه بواسطة الأظافر. ويعتقد كثير من السكان أن الإنسان بعد موته ودفنه يتوجب تقديم الطعام والشراب له ولقد رأيتهم بنفسى يضعون التين المجفف والخبز والماء على القبور، ويعتقدون كذلك أنه يأكل كل شيء بالأحرى فتران وجرذان وإن لم يوجد فمن الفقراء البؤساء. كما يعتقد بعضهم أن الأموات سيمتلكون الخيول والمزارع والنساء وكل ما هو جميل في الحياة الآخرة إذا كان بحوزتهم الأموال. أما إذا لم يحملوا معهم الأموال فلن يمتلكوا أي شيء وسيعيشون فقراء كما كانوا في الحياة الدنيا.⁴⁰

وتوجد أمام باب الواد مقابر المور والأتراك بالإضافة إلى مقبرة خاصة باليهود، وكانت قبورهم تغطي بالحجارة المصبوغة بالجير حسب عاداتهم، ويوجد بالقرب من البحر مقبرة مسيحية اشتراها الإسبان من الأتراك بثمن باهظ. وقد سمعت من أفواه المسيحيين عن المناسبة التي تم فيها شراء هذه المقبرة أو القطعة الأرضية: "ذات يوم اقتاد القراصنة الجزائريون سفينة إسبانية كان على متنها الأسقف الذي طلب منه

الالتحاق بأسقفيته. ولما وصل إلى مدينة الجزائر أعلم على الفور حكومته التي أرسلت ثمن الفدية لتحريره، وبدل أن يستعمل المبلغ المالي في تحريره، قام بشراء قطعة أرض لاستخدامها في دفن الموتى المسيحيين. ذلك أنه تألم كثيرا لما علم أن المسيحيين ليس لهم مكان لدفن موتاهم. وكان أول مسيحي يدفن في هذه المقبرة لأنه توفي بعد شرائها بوقت قصير". وقبل ذلك كان يلقي بالأموال المسيحيين في البحر.

ومدينة الجزائر محمية جيدا بواسطة القلاع المتواجدة في كل مكان، وعلى الخصوص من جهة البحر، حيث لا تزال هناك جزيرة. وعلاوة على القلاع توجد خارج المدينة العديد من المدافع الكبيرة، وقاذفات القنابل والكور والبارود وكميات كبيرة من القنابل المتنوعة. وعلى الجزيرة المذكورة تنتصب عدة مدافع من العيار الكبير حيث يصل طول الواحد منها إلى 21 قدما دانماركيا، وهو ذو فوهة واسعة لدرجة أن الإنسان يمكنه إدخال رأسه في فوهته. وهذا المدفع الآن تم تحطيمه ولكن قيل لي أن فرنسا تعيسا وضع في ما مضى عند فوهة هذا المدفع وقذف به ناحية الأسطول الفرنسي الذي كان في الميناء لغرض مهاجمة المدينة⁴¹. ولما كان المدفع يحتوي على تصدع لم يتم استعادته كما لم يتم استعادة القنصل الشقي. كما يوجد كثير من قاذفات القنابل أكبرها حسب ما رأيت بإمكانه حمل رجل في وضعية مريحة، والمدفع الكبير وقاذف القنابل أرسل من طرف السلطان، أما بقية العتاد كالمدافع وقاذفات القنابل فقد حصل عليها الأتراك من الأمم الأخرى عن طريق الاستيلاء عليها في البحر، أو عن طريق شرائها.

3.10. الداي:

وملك الجزائر في الوقت الحالي من الأتراك، وسلطته قوية في بعض الحالات، يطلق عليه في لغتهم البايك⁴² وهو يتبع السلطان العثماني لكنه يمارس سلطته في الحكومة بموافقة رجال الديوان. وكان الخزندار من أهم الشخصيات في مجلس الديوان، حيث يعتبر بمثابة نائب الداي، وهو المرشح لخلافته في الحكم في حالة الوفاة، ثم يليه آغا الدايرة وهو القائد الأعلى للفرسان، وسلطته خارج مدينة الجزائر تعدل سلطة الداي في هذه المدينة، ثم يليه الخزندار أو الخزناجي وهو المسؤول عن الخزينة، بالإضافة إلى وزير البحرية ويطلق عليه المجلس الكبير،⁴³ وهو المسؤول عن الأسرى المسيحيين. وكان يتوجب على وزير البحرية هذا التوجه إلى الميناء كل يوم، ويفترض أن ينهض باكرا حيث يقوم بغسل يديه إلى الكوعين وقدميه إلى الركبتين ثم يعضض

ويغسل أنفه كعادة الأتراك، ثم يؤدي الصلاة. التي كان الأتراك يؤديونها خمس مرات في اليوم، ما عدا الأيام التي يكونون فيها مشغولين فإنهم لا يصلون إلا مرتين أو ثلاث مرات في اليوم فقط.

وبعد ذلك يتجه نحو الداي، وبعد أداء واجب التحية يتحدث على الأرجح عن عمل الأسرى المسيحيين في هذا اليوم، ثم يأتونه بكأسين أو ثلاثة كؤوس من القهوة (يتناول الأتراك كميات كثيرة من القهوة)، ثم يغادر قصر الداي عن طريق البوابة التي تصل مباشرة إلى الميناء، وهي البوابة التي تُفتح على يد شخص من المور بعد أن يحضر المفتاح من عند الداي، وعندما يصل إلى الميناء يكون كل الأسرى في انتظاره مع الحراس، حيث يأمر بالتحاقهم بالعمل سواء في الميناء أو داخل المدينة أو خارجها.

4.10. العقوبات:

الداي والحكومة لهما قوانين صارمة ضد الأتراك الذين يرتكبون مخالفات ضد اليهود أو المور أو المسيحيين، كان التركي الذي يرتكب جريمة يُعاقب بالخنق أو بالإعدام بقطع الرأس. وفي حالة ارتكابه جنحة يتلقى الضرب بالعصى أسفل القدمين⁴⁴. أما اليهودي فكانت تُقطع رأسه في حالة ارتكابه جنائية، وتفرض عليه غرامة مالية، أو يُضرب أسفل القدمين بالعصى. أما المور فكانوا يُرمون في البحر، أو يُعلقون على مخاطف من حديد مثبتة على سور المدينة، أو يُضربون أسفل القدمين أو على المؤخرة. وكان المسيحيون الذين يرتكبون المخالفات الخطيرة يُعلقون عند أبواب السجون، بمجرد ارتكابهم المخالفات؛ وكان على المسيحيين الآخرين المرور صباح مساء على الجثث المعلقة، وإلا تعرضوا للضرب أسفل القدمين أو على مؤخراتهم حتى تتمزق جلودهم. حيث يوجد من تلقى ألف ضربة، ومنهم من تلقى بين 400 و600 ضربة، وذلك حسب خطورة المخالفة المرتكبة. وكان يتم تنفيذ هذه العقوبات كالتالي: يتم استلقاء الشخص على بطنه ويمسك شخصان رأسه ويديه حتى لا يتمكن من الحراك، ويتم تقييد القدمين بواسطة حبل إلى عمود، ويحمل هذا العمود شخصان ويرفعانه إلى الأعلى، ويقوم حارسان بضرب المتهم بكل ما أوتيا من قوة، وكان كل ذلك يتم في ساحة قصر الداي حتى يتمكن هذا الأخير وكذا مجلس الديوان من متابعة تنفيذ العقوبات، وقد يحدث في الميناء أمام وزير البحرية حيث كان يستبدل الحارسان المكلفان بضرب المتهم إذا تعبا بحارسين آخرين وهكذا حتى تستنفذ العقوبة. بعد ذلك يتم حمل المتهم إذا لم يكن بمقدوره الوقوف على قدميه إلى

المستشفى حيث يقدم له العلاج. وبعد أن يأخذ قسطاً من الراحة أو يتعافى يقيد من جديد مع أسير آخر بسلسلة من الحديد، ويبقى حتى تنتهي مدة عقوبته وقد يستفيد من العفو.

5.10. المستشفى:

كان الأسرى المسيحيون المصابون بالأمراض يُحملون إلى المستشفى الخاص في مدينة الجزائر، ويجب الاعتراف هنا بالقول أن الأسرى الإسبان كانوا يحظون بالعلاج ويعتنون بالعقيدة المسيحية، حيث كان المرضى ينامون جيداً، ولكن العلاج كان متوسطاً، ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى الأب الإسباني الذي يتلقى أجره دون أن يعلم عدد المرضى الموجودين في المستشفى، ومع ذلك يعلم الله كيف سيكون مصير الكثير من المسيحيين لولا وجود هذا المستشفى، ولست أدري هل كانت الدول الأخرى تدفع مقابل علاج رعاياها من الأسرى في هذا المستشفى أم أن إسبانيا وحدها كانت تفعل، والأمر المؤكد هو أن جميع سفن الحكام المسيحيين التي كانت تدخل ميناء الجزائر عليها أن تدفع الضريبة. على أية حال يأتي الكثير من الأسرى المسيحيين الذين مضى على تواجدهم سنوات عديدة للعلاج في هذا المستشفى، ويتعلق الأمر بأولئك الذين كانوا يتعرضون لحوادث أثناء العمل، أو أولئك الذين يُصابون بالأمراض. ويوجد في المستشفى كنيسة جميلة مع أسقف وهو المسؤول، ويعاونه شخصان في الكنيسة والمستشفى. وكان يقدم الطعام في الكنيسة كل يوم أحد وفي أيام الأعياد علاوة على المناسبات الأخرى.

11. خاتمة:

تحتوي مذكرات البحار النرويجي نيلز موس الأسير في مدينة الجزائر على معلومات وأخبار قيمة وفي

غاية الأهمية

بالنسبة لدارسي الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، التي لا يزال يلفها الكثير من الغموض، رغم الدراسات والكتابات التي أنجزت لحد الآن بمختلف اللغات لاسيما العربية والفرنسية، ولذلك فإن هذه المذكرات سوف تملأ بلا شك ثغرة في هذا التاريخ الطويل، وستنير ولو جزء ضئيل من التاريخ المذكور. فالمذكرات زودتنا بمعلومات لا يمكن العثور عليها في مصادر أخرى من أدب الرحلات أو أدب الأُسُر.

12. الهوامش:

¹ يفيد تأكيد رئيس عمال المصنع أن صوت الهاون واهتزاز الهواء والضجّة هي التي كانت تتسبب في تصدع جسر الغليوبات المقنبلة وليس بالضرورة سحبها الذي تمت مراعاته أثناء صناعتها.

² كان سيمون هوغلاند بحار دانو - بحارا نرويجيا يعرف جيدا بلاد الباريسك حيث أدى دورا مهما سنة 1740 في إبرام إحدى معاهدات السلم بين هولندا والجزائر.

³ في الواقع لم تكن القوات البحرية الدانو - نرويجية غائبة عن النشاط في البحر المتوسط، حيث جاء في تقرير (Tronheims Adresse - Contoirs Efertninger) مؤرخ في 29 نوفمبر 1771 " قدم في هذا الأسبوع نثايل أونجل (Nathanael Angell) مع حمولة من الملح، قادما من سانت إيف (St Yves) ذكر أنه لم يصادف أي قرصان تركي في طريقه، وأثناء عودته كان برفقة 5 سفن دانماركية ونرويجية؛ تحت قيادة أولي أولسن سلووغ (Ole Olsen Selwog) التابع لكوبنهاغن وكان نقيب الغليوطة كريستيانزي 7 مجهز بـ 16 مدفعا كبيرا بالإضافة إلى مدافع أخرى صغيرة ومن حسن الحظ أنهم لم يواجهوا أي خطر أثناء عبورهم القناة.

⁴ كانت سفن الأسطول الجزائري إما تقوم بالنشاط البحري في عرض البحر المتوسط، أو كانت راسية في ميناء بجاية الحصين حيث اعتادت الحكومة الجزائرية على إرساله إلى هذا الميناء لأنه يتوفر على شروط الحماية الطبيعية في فصل الشتاء. (المترجم)

⁵ في هذه الأثناء كان يتم تحضير أرمادة خاصة بالبحر المتوسط تتكون من 25 سفينة، تم تسليح قسم منها، وتم اقتراح تسميات للغليوبات المقنبلة، لكن هذه التحضيرات لم تتجسد على أرضية الواقع.

⁶ حول النزاع الجزائري كتب تريسيانزي يقول " لكي يقوم الدانمارك بالنشاط التجاري عليه أن يفعل أي شيء لتوفير الأمن لذلك الغرض ".

⁷ في شهر نوفمبر 1769 كان في مدينة الجزائر 41 أسيرا دانو -نرويجيا، بقي منهم 39 في ربيع 1772، هلك اثنان منهم في حوادث، وتمكن الأسير الثالث من مغادرة الجزائر لكن بذراع قاسية بسبب تعرضه لحادث، أما الـ 9 أسرى فقد كانوا بحوزة خواص فقد لقي هوغلاند صعوبة كبيرة مع الملاك في التوصل إلى اتفاق حول مبلغ الفدية.

⁸ وصلت العمارتان "مارس Mars" و"هافراون Havfruen" يوم 31 ماي 1772، ووصلت السفينة كريستيانزي يوم 12 أوت ووصلت سفينة من نوع الشباك لاندورمن يوم 13 أوت، ووصلت برانسس ويلهيلمين يوم 14 أوت، ووصلت فالستر يوم 16 من نفس الشهر، ووصلت العمارتان سلسويع وسيجران (كانت هذه الأخيرة تحت قيادة قائد الأسطول هوغلاند) يوم 23 سبتمبر، أما سفينة النقل كروفاند مولتكة فوصلت يوم 12 ديسمبر، ولم تصل

السفينتان فيروي وألفن إلى ربيع 1773، وأما السفينة غرونلانديت بقيت في البحر المتوسط لحراسة السفن الدانو نرويجية التي كانت تحمل الهدايا المتجهة إلى مدينة الجزائر، عادت إلى كوبنهاغن يوم 15 جويلية 1773.

⁹ السفن الثلاثة التي وقعت في الأسر (في خريف سنة 1769) لم يتم إرجاعها إلى أصحابها، والمؤكد أن سفينة على الأقل لم تكن كذلك.

¹⁰ ف. ر: العذراء كريستينا.

¹¹ وحدة قديمة لقياس حجم السفن.

¹² ريكسدال (riksdales) هي العملة القديمة للاتحاد الدانو-نرويجي وتعادل 96 شيلين (shellings)،

¹³ المتحف البحري لمدينة تروندهايم، دليل سنة 1936.

¹⁴ السفينة جومفري كريستيانزي تم شراؤها عام 1748 من فرنسا، على يد هانز هورنمان Hans Hornemann وهيلمار مانكي Hilmar Meincke وأوطو بير Otto Beir. وهي سفينة ذات صارتين، وهي تشبه تقريبا السفينة التي تسمى البريك، كانت تجوب البحر المتوسط بصفة شرعية، وفي سنة 1762-1763 أبحرت إلى جزر الأنتيل. في سنة 1769 ملاك السفن كانوا ممن خضعوا لفحص الولاية القضائية العسكرية، هم فريدريك كولين، وشقيقه، والمحافظ نيلز كروغ كولين Niels Krog Collin ومساعد عمدة البلدية فريدليب كريستيان أندرياس Friedlieb Andreas Christian.

¹⁵ ولد هانز ثود Gram Hans Thode في تروندهايم سنة 1740، وهو ابن أندرس هانسن. ج Anders Hansen. G، كقائد، كانت هذه الرحلة الأولى، والأخيرة له، على الأقل من هذه المدينة. كان قد غادر مدينة تروندهايم بعد 1772.

¹⁶ ولد Jacob Hernemann Kollin سنة 1740 في تروندهايم وهو ابن رئيس رجال الحماية المدنية ومالك مزرعة، "جورج كريست كولان George Chr Kollin، أصبح ضابطا بعد سنوات وتوفي سنة 1780، ملاكو السفينة هم أخواله.

¹⁷ Fr: رغبة الممالك.

¹⁸ يقصد بالمغاربة هنا الجزائريين الذين كان يسميهم الأوروبيون 'المور les maures'

¹⁹ يطلق مصطلح الأعلاج على الأسرى المسيحيين الذين يعتنقون الإسلام.

²⁰ نلاحظ أن الأسير هنا يتجلى جهله بالعقيدة الإسلامية.

²¹ يقصد القرصنة الجزائريين. (المترجم)

²² يقصد المجلس دون أن يحدد نوعه لعله يقصد به مجلس الديوان (المترجم)

23 يبدو أن الكاتب نيلز موس يخلط بين المصطلحات الثلاث بايليك وباي وداي، سنعوض بايليك وكلمة داي لاحقاً.

24 هي مدينة ساحلية وميناء في جنوب جزيرة سردينيا (المترجم)

25 ميناء صغير يقع جنوب غرب إسبانيا على المحيط الأطلنطي (المترجم)

26 يقصد الكاتب المساجد، حيث نلاحظ أنه لا يستعمل المصطلحات الإسلامية.

27 هي مدينة عنابة. (المترجم)

28 هي مدينة وميناء يقع في جزر البليار الإسبانية في جزيرة مينورقة. (المترجم)

29 كلمة لوثرين تعني من أتباع مذهب المصلح الديني مارتن لوثر Martin Luther الذي ظهر في ألمانيا في مطلع القرن السادس عشر وعارض الكنيسة الكاثوليكية، حاربه هذه الأخيرة واعتبرته خارجاً عن الدين وأتهمته بالزندقة والكفر وأحلت دمه، ودخلت أوروبا بسبب دعوة هذا المصلح في حروب طاحنة بين أتباع الكاثوليكية وأتباع هذا المصلح عُرفت بالحروب الدينية التي استمرت مدتها قرابة 30 سنة، ويسمى أتباع هذا المذهب البروتستانت وهي مشتقة من الفعل بروتست protest بالإنجليزية وتعني احتجاج، ويعرفون باللغة العربية باسم المحتجون، اظطرت الإمبراطورية الإسبانية التي كانت زعيمة العالم المسيحي إلى الاعتراف بهذا المذهب، وذلك لكي تتفرغ لحرب الجزائر والدولة العثمانية في حوض البحر المتوسط. فأصبح للمسيحية ثلاث مذاهب كاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية أو اللوثرية علاوة على مذهب رابع يعرف بالمذهب الكالغيني نسبة للراهب الفرنسي كالغن.

30 يقصد الملك بدون شك. (المترجم)

31 هي نوع من السفن. (المترجم)

32 يقصد بالملك هنا الداوي وضباطه (المترجم)

33 العميد البحري سيمون هوغلاند.

34 قائد سفينة الفرقاطة آدم فرديناند فون مولتكة Adam Ferdinand V. Moulkte

35 القائد "جوهان بيتر ولوجل" "Johan Peter Wleugel"

36 يقصد الداوي.

37 الحجر الصحي. هو نظام احترازي كان معمولاً به خلال العصر الحديث، يقام عند الحدود والموانئ خاصة

لتلافي انتقال العدوى بين الدول والشعوب، حيث يمكث المسافرون به لمدة 40 يوماً، يتم التأكد من عدم إصابتهم

بوباء الطاعون فيسمح لهم بالدخول إلى البلد (المترجم)

38 مقر الجمارك.

³⁹ يذكر عبد الرحمان الجيلالي أن الداوي محمد بن عثمان باشا (حكم الجزائر من سنة 1766 إلى سنة 1791) هو من قام بجلب مياه الحامة إلى مدينة الجزائر عبر القنوات الأرضية، وأوقف عليها الأموال لتجديدها وإصلاحها، أنظر محمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ/ 1754-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974. وعبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ص 266. (المترجم)

⁴⁰ يظهر جهل الكاتب بالقضايا الإسلامية مرة أخرى هنا، وعدم فهمه لسلوك الأفراد، حيث كان أهل الميت يحملون معهم إلى المقبرة الخبز والتمر، وأولتين المجفف، ويقومون بتوزيعه على الفقراء والأطفال وعابري السبيل الذين يصادفونه في الطريق، كصدقة على الميت. ولا تزال هذه العادة تُمارس إلى يومنا هذا في الأرياف بالخصوص.

⁴¹ هو القنصل لوفاشي le Vacher الذي أمر الداوي الحاج حسين باشا ميزومورطو (1683-1688) بوضعه على فوهة مدفع بابا مرزوق وقذفه في اتجاه الأسطول الفرنسي الذي جاء ليهاجم مدينة الجزائر سنة 1783. (المترجم)

⁴² يقصد الدايليك تعليق المترجم.

⁴³ نلاحظ هنا أن معلومات الأسير سطحية وغير صحيحة ويبدو غير متأكد منها فالمسؤول عن البحرية في الحقيقة هو وكيل الحرج وليس المجلس الكبير كما يذكر. (المترجم)

⁴⁴ يقصد الفلقة (المترجم)